

الكتاب العربي السعودي ٤

الدكتور محمود محمد سفر

التنمية.. قضية!

الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

« وبه نستعين »

الناشر
تهامة
جدة - المملكة العربية السعودية
ص.ب ٥٤٥٥٥٠ ـ هاتف ٤٠٠٠٠

اهـــــداء

الى الذين يجاهدون في سبيل الحفاظ على مقومات مجتمعهم .
الى الذين أوقفوا فكرهم ونذروا طاقتهم لتقدم أمتهم .
الى كل هؤلاء من رواد التنمية في بلدي .

أهدى هذه الأفكار

« تمهيـــد »

لعل من الضروري الاشادة بأهمية المرحلة الحالية التي تمر بها المملكة العربية السعودية في سعيها الحثيث نحو التطور والنماء لأن هذه المرحلة ستكون شاهدا لنا أو شاهدا علينا نحن جيل هذه المرحلة فمنها تتحدد معالم الغد لأمتنا وعليها ، بعد الله ، يرتكز ما نهدف الى بلوغه من حضارة .. فهذه المرحلة هى الأساس والبدء وهى القاعدة والمنطلق .. إذا فجيلنا يتحمل مسئولية تاريخية سوف تحاسبه الأجيال القادمة ان فرط فيها وتذكر له صنيعه بشيء من الوفاء ان تحملها بأمانة وهو لهذا مطالب بأن يتفهم دوره ويتعرف على مسئوليته .

اننا بما حبانا الله به من ثروات طبيعية نملك فرصة غالية لوضع اللبنات الأساسية لحضارة قوية راسخة وتطور سليم ونحن في بلوغ ذلك نواجه امتحانا صعبا في المحافظة على أصالتنا والاحتفاظ بذاتنا .. ولأول وهلة يبدو الأمر سهلا لأن باستطاعتنا الاحتفاظ بلباسنا الوطني عندما نمتطى أحدث ما انتجته مصانع السيارات في العالم كما أن بأمكاننا أن نستورد الالآت الحديثة لنشيد بها المصانع ونستورد معها ما تحتاجه من قوى بشرية لتشغيلها وصيانتها ونباهى الأمم بأن لدينا صناعة وأن بلادنا صناعية .. ولكن هل هذه هى الحضارة ؟ !!

ان الاجابة على هذا التساؤل وغيره تحتاج الى وقفة موضوعية نسترجع من خلالها موضوع التنمية من حيث التعريف والمحتوى والأطر والمنطلقات ونحاول أن نطرح من ثناياها ومن خلال صفحات هذا الكتاب أفكارا شتى ، الهدف منها مساهمة فكرية متواضعة في الجهود الكبيرة التي تبذل من جميع القطاعات والمرافق ضمن خطط تنموية طموحة رسمتها الدولة .

ولقد وجدت أن لا بد من الاشارة الى أن التأملات التي يحويها هذا الكتاب مقصودة لتثير في عقلية المثقف السعودي حوارا للافكار وليس صراعا للشعارات والفرق بين الأثنين واضح فحوار الأفكار يعني اعمال العقل وتقلب الذهن في جميع الجوانب التي تمس القضية المطروحة للبحث بهدف الوصول الى الأجدى والأسلم من الأفكار في اطار محدد من القيم والمبادىء الاسلامية السامية التي ندين لها ونفاخر بها . بينما صراع الشعارات يكون مبنيا على الألفاظ الجوفاء والعبارات المثيرة بهدف اغلاق آذاننا دون الحقيقة واطلاق ألسنتنا دون قيادة (وهل يكب الناس في النار على وجوههم الا حصائد ألسنتهم ؟) أو كما قال رسولنا العظيم صلوات الله وسلامه عليه .

ان حوار الأفكار مثمر ونافع ، وصراع الشعارات غوغائي ومدمر ، أشبه بأصمين التقيا على طرف الطريق ونادى أحدهما الآخر : هل أنت ذاهب الى مكة ؟ فأجاب الثاني بأعلى صوته : لا .. انما أنا ذاهب الى مكة !! ذلك هو صراع الشعارات .

اذا كان الهدف من هذه التأملات والأفكار كما ذكرت هو اثارة عقلية المثقف السعودي للتفكير ليتولد عن ذلك حوار للأفكار فان من الملزم حقا التأكيد على أن حوار الأفكار لا يعني على الاطلاق صراع أصحاب الأفكار ففي كل شيء كما هو في عالم الأفكار هناك المحكم الذي لا لبس فيه وهناك المتشابه الذي قد تختلف عليه الآراء بحثا عن الحقيقة ، والمهم أن نعوذ بالله من هوى حب الغلبة وسيطرة الرأي ، وأن نكون جميعا على استعداد لأن يقول أحدنا للآخر : لقد أخطأت أنا وأصبت أنت . وليكن لنا دوما في رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوة حسنة عندما سأله الحباب بن المنذر في غزوة بدر : أمنزل أنزلكه الله أم هو الرأى والمشورة ؟ وباقى القصة معروف .

محمود محمد سفر

« مفاهيم تنموية »

ان من يريد أن يتصدى لطرح أفكاره وتأملاته حول موضوع التنمية يحتاج الى أن يحدد بعض المفاهيم التي تحكم العملية التنموية وما ينبثق عنها وما يرتبط بها من أساسيات تعين القارىء على فهم هذه الأفكار وتلك التأملات .

ومن هذا المنطلق فأنن نستسمح القارىء الكريم في أن نوجه عنايته لما سنورد من مفاهيم تنموية ونؤكد له أن العلاقة التي تربط هذه المفاهيم بالأفكار والتأملات المطروحة للحوار علاقة وثيقة الصلة ، بدونها قد لا تعطى الأفكار ما أريد لها أن تعطيه من ثمرة ، كما أن التأملات تصبح محدودة المعنى بغير هذه المفاهيم ..

تنمية الانسان وانسان التنمية :

عندما يتصدى فرد لحل مشكلة ما فانه ينطلق في تفكيره من عناصر تلك المشكلة ومكوناتها لأن ذلك يعينه ولا ريب على التفهم الشامل لها والتعرف الكامل لمسبباتها حتى يتمكن من ايجاد الحل المناسب . ومشكلات التنمية في أى مجتمع يسعى للتطور والارتقاء تكون عادة مشكلات مركبة ومعقدة لأن الفرد الذي يبحث عن حلها يكون عادة أحد عناصرها ومكونا من مكوناتها .. وذلك الفرد هو انسان التنمية .

والحديث هنا منصب على المواطن الذي منه تنطلق البرامج واليه تعود النتائج . واذا قيل ان بالامكان الاستعانة بأفراد من خارج مجتمع التنيمة ليعينوا في حل مشكلات هذا المجتمع التنموي فان تساؤلا جادا يبرز ويحتاج الى اجابة : هل حقا سيأتى الحل

المقترح من هؤلاءالأفراد ملائما ومتكاملا وواقعيا ؟ ان الاجابة الموضوعية لهذا التساؤل الجاد هي أن الأمر في الحقيقة يعتمد على نوع المشكلات فان كانت تقنية بحتة خالية من محتوى أو بعد اجتماعى فان هؤلاء قادرون على الحل بل ربما ان ما يقترحونه من حلول يجب الأخذ به وتطبيقه بجدية لأنهم أعرف بدقائق التقنية وبلدانهم مليئة بالتجارب ... أما ان كانت المشكلات ذات محتوى اجتماعى مثل مشكلات تنمية الانسان المواطن وتعليمه وتدريبه فاننا نعتقد أن هؤلاء الأفراد القادمين من خارج الحدود ليسوا أكثر الناس معرفة بدقائق وتفصيلات هذا النوع من المشكلات ومكوناتها وبالتالى تأتى حلولهم قاصرة عن الواقع وعاجزة عن التطبيق وتصبح مسئولية ابناء الوطن المؤهلين الأكفاء ان يتصدوا لهذا النوع من المشكلات ولا يمنع ذلك من الاستعانة بالغير ممن يملك المقدرة والتقنية والخبرة العملية .

وهكذا تبرز المشكلة التي يمكن وضعها في حروف مقروءة :

.. مجتمع يسعى للنمو والتطور ويضع تنمية الطاقة البشرية فيه على قائمة أولوياته ولكنه يصطدم بعقبتين .. الأولى ـ قلة السكان والثانية ـ ندرة القادرين من المواطنين على المساهمة في برامج تنمية الطاقة البشرية ـ فما السبيل الى حل هذه المشكلة ؟ .. كما يبدو من أبعاد المشكلة أنها تتصل أساسا بشقين الأول ما يخص تنمية الانسان المواطن وما يرتبط بها من برامج وخطط وما يتصل بها من عقبات ومعوقات والثاني ما يختص بانسان التنمية من حيث الصفات والتصورات والتطلعات وبالتالى ما يجب ان يقوم به من دور أو أدوار لتخطيط وتنفيذ برامج التطور والنماء .

والانسان هو نقطة البدء لاى برنامج تنموى وهو محور الارتكاز لمكونات خطط التطوير فاليه تتجه التنمية ومنه تنطلق

أهدافها وبه تتحقق هذه الأهداف . ولعل من المؤكد أن تنمية الانسان في مجتمع يسابق الزمن في انطلاقه نحو الحضارة والرقى يحتل مركز الصدارة وينال الأولوية .

وتنمية الانسان هنا تعني تربيته وتعليمه وتدريبه واكتشاف مواهبه وصقلها ولا بد من التأكيد مرة أخرى على ان من يتصدى لوضع برامج تنمية الانسان ان يكون من المؤهلين الاكفاء من أبناء الوطن فهؤلاء هم ولا شك أقدر على تفهم نفسية الانسان الذي يرغبون في تنميته وهم بكل ما لديهم من تعايش وتطابق لخلفيته الأجتماعية يستطيعون ان يضعوا البرامج الفعلية والعملية التي تتمشى وخلفية هذا الانسان الاجتماعية . كما أن لا بد من التركيز على حقيقة هامة جدا نعتقد انها تشكل العمود الفقرى لبرامج تنمية الانسان الا وهى طبيعة الانسان الذي تتجه البرامج لتنميته .

لا شك أننا نتحدث عن الانسان المسلم الذي يشكل عنصر المجتمع السعودي وهذا المسلم بحكم تكوينه هو مستخلف من الله سبحانه وتعالى في كل تصرف يبدر منه وكل حركة يقدم عليها وفي كل عمل يقوم به فالمسلم يتلمس من واقعه ما يؤكد خلافته في الأرض وهذه الخلافة تعني امورا كثيرة لعل من أهمها ان يتقى الله في عمله ويرعاه في تصرفاته جهرة وخفية ، سرا وعلنا ، ظاهرا وباطنا ، اولا وآخرا . الأمر الثاني الذي تعنيه خلافة المسلم على الأرض لعمارتها انه يعلم أن كل تصرف أو حركة أو عمل أو بادرة أو حتى تفكير هو في واقعه اما أن يكون عبادة ان هو اتقى الله وراقبه فيه أو أن يكون ذنبا ان خالف أمر الله فيه ..

من أجل هذا لا بد أن تكون برامج التنمية محتوية على العنصر الأساسي والمبدئي وهو أن تخلق انسانا متزنا لا ترف يبطره ولا فقر يسحقه ..

ولتحقيق هذه الغاية فان برامج تنمية الانسان يجب أن لا تنتهى بتعليمه وتدريبه واكتشاف مواهبه وصقلها ، بل لا بد أن تمتد الى تعميق ولائه لربه ثم ولائه لوطنه بمعنى أن هذه البرامج لا بد أن تتسع دائرتها لتشمل التربية الدينية العميقة التي تكتشف نوازع الخير في الانسان وتجعله يتلمس ويتحسس ويتمثل الأخلاقيات الاسلامية من خلال سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك القائد القدوة ، ثم سيرة صحابته الابرار من رجال الصدر الأول . ودائرة الانسان لا بد أن تشمل التربية الوطنية الحقة وهنا يجب أن نزيد الأمر توضيحا لأهميته فنقول ان التربية الوطنية عامل من العوامل الأساسية التي تجعل الفرد في مجتمعه قادرا على العطاء بلا حدود وبنفس راضية مطمئنة .

فالتربية الوطنية تجعل من المواطن محبا لوطنه مخلصا في عمله متفانيا في واجبه وتجعله يقدر مسئوليته ويحرص على استثمار وقته في ما يعود بالنفع على وطنه وتجعله يبتعد عن الاتكالية والاستسلامية وروح اللامبالاة وتجعله يحمل في نفسه فعالية روحية عالية تسيطر على تفكيره وتهيمن على تصرفاته فتجعله يتلمس قول المصطفى صلى الله عليه وسلم :

« أن الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه »

وقوله صلى الله عليه وسلم :

« من أخذ الأجرة حاسبه الله على العمل »

ان التربية الوطنية ان أحسنت برامجها وأحكمت خططها ستخلق مواطنا ينطلق بكل طاقاته وقدراته يسابق الزمن ليخدم وطنه ويضحى بكل ما يملك في سبيله ، ولا شك ان برامج التربية الوطنية وهى تنبثق من العقيدة والأيمان كما جاء بهما سيد البشر محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه سوف تتمكن من أن تزيل الغبار المترسب على النفوس والصدأ المسيطر على القلوب . ولنا ان

نتذكر دوما ونحن نضع برامج تنمية الانسان وبرامج التربية الوطنية بصفة خاصة أن الرسول صلى الله عليه وسلم ما احتاج الى أكثر من ثلاث وعشرين سنة ليغير مفاهيم أمم وهو في ذلك صلوات الله وسلامه عليه كان يرتكز على رسالة الأيمان والحق وهى ذات الرسالة التي بين ظهرانينا اليوم التي لو تحملها المواطن والتزم بها قولا وعملا لكان قادرا ولا شك على التغيير الى الأفضل حيث لا بد من التأكيد على حقيقة هامة هى ان جوهر التغيير بشتى صوره في أى مجتمع يبدأ من أعماق النفس البشرية مصداقا لقوله تعالى :

« ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »

صدق الله العظيم (١) .

والحكمة الالهية في هذه الآية الكريمة تشير بجلاء ووضوح الى أن النفس البشرية هى منبع التغيير وعمقه في أى مجتمع سواء أكان التغيير اقتصاديا أو اجتماعيا أو سياسيا أو عسكريا وفي هذا المجال يقول الدكتور عبد المجيد العبد (٢) :

« وقد تكمن أبعاد التغيير في العلم والمهارة والسلوك عن طريق العقل والجسم والفؤاد حيث يشترك الانسان مع باقى المخلوقات في وسيلتي السمع والبصر ليتعلم منها المعرفة ويكتسب عن طريقها المهارة ولكن تبقى الحقيقة في انها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور . ومن هنا كان سر التغيير كامنا في أن يعقل الانسان بقلبه فيطمئن ويصغى ولا يزيغ أو يضل . »

اذا فالحديث عن التنمية سيظل موصولا بالانسان ومرتبطا به ومجتمعنا العربي السعودي يمتاز انسانه بخصائص نابعة من عقيدته الايمانية وتصوره الاسلامي تجعله ينظر الى الأمور بعين

---

(١) سورة الرعد الآة (١١) .

(٢) نبع التغيير ص (٥) .

فاحصة وقلب مطمئن ونفس أبية وفكر متطور وافق واسع في محاولته السير نحو النماء .

ليذكر انسان هذا المجتمع المسلم دائما وابدا ان التغيير ينبع منه ويتجه اليه ويسير به وان التنمية ليست غايته ولكنها وسيلته الى حياة أفضل وغد مشرق يتطلع اليه وهو يمسك بقيمه ومبادئه ويتمسك بعقيدته وايمانه ويلتزم بخصائصه وصفاته وانني لعلى ثقة بان مجتمعنا سيجتاز مراحله المختلفة في مسيرته نحو التغيير الى الأفضل من خلال ما رسمته الدولة من خطط بنجاح وتوفيق ، اذ أنه بقدر اهتمام خطة التنمية باعداد الانسان السعودي اعدادا متوازيا لا ترف يبطره ولا فقر يسحقه وبقدر الاهتمام به تعليما وتدريبا للارتفاع بمستوى أدائه وزيادة فعاليته الانتاجية يتحقق اقصى عائد ممكن من برامج التنمية ، كما أن بقدر اصرار الانسان السعودي على أداء دوره في مسيرة التنمية ـ مهما كان هذا الدور ـ فسوف يكون المردود أعمق والحصيلة أشمل .

مفاهيم علمية : ـ

ان كلمات العلم والتكنولوجيا والتنمية سوف تتردد في أى موضوع يعالج ما يواجهه أى مجتمع تنموى من مشكلات او مشاريع طموحة يسعى هذا المجتمع لتنفيذها . لذا فان من الجدير أن نحدد لهذه الكلمات معانيها في اطار استعمالها العلمى والعالمي لكى يكون المفهوم شاملا والمعنى واضحا والأفكار محددة .

مفهوم التنمية : ـ

لقد أصبح للتنمية مفهوم عالمي يستخدم على نطاق واسع فمثلا يقول تقرير اللجنة التحضيرية لمؤتمر الأمم المتحدة للعلوم والتكنولوجيا من أجل التنمية (٣) :

« ان المسلم به عموما هو أن التنمية ليست مرادفة لمجرد النمو ولكنها تتضمن اعتبارات أخرى عديدة تتعلق اساسا برفاهية الأنسان ومن هذه الاعتبارات ما هو ثقافي وما هو روحى وما هو مادى » .

ويقول التقرير في مكان آخر تحت نفس الموضوع :

« ان من الضرورى أن تؤدى أنماط التنمية الى مناسيب أعلى من التوظيف في الريف والمدينة نظرا للزيادة المتوقعة في السكان في البلدان النامية وتأثيرها على تمويل العمل فليس من الضروري ان يكون التوظيف منتجا من الناحيـة الاقتصادية ولكن ينبغي أن يكون كذلك مرضيا للفرد حاثا على الناحية الخلاقة فيه (الابداع) ومؤديا الى استخدام أكثر فائدة لوقت الفراغ »

ولا شك أن للتنمية أبعادا واعتبارات تخرج عن كونها استثمارا اقتصاديا امثل للدخل الوطني من خلال برامج ومشاريع تسعى الى رفاهية المجتمع وتطوره الى كونها تهدف الى استخدام الموارد الاقتصادية والطاقات البشرية المدربة وتنميتها لرفاهية مختلف قطاعات المجتمع مع الحفاظ على المصالح من قيم المجتمع التاريخية والأخلاقية والسياسية ولا بد من التأكيد على أن هناك شروطا موضوعية يجب أن توضع مجموعة هذه القيم في اطارها والا اصبحت هذه القيم مثبطة لعملية التنمية في ذاتها ونضرب مثلا بقيمة العمل في مجتمع ما لنجد أنه من الممكن ان يحتقر افراد هذا

---

(٣) الأمانة العامة لمؤتمر الأمم المتحدة للعلوم والتكنولوجيا من أجل التنمية مايو ١٩٧٨ م

المجتمع العمل اليدوى ويعتبرونه مهينا لكرامتهم وتكون النتيجة الطبيعية ان مثل هذا المجتمع لا يستطيع ان يستخدم طاقاته البشرية الاستخدام المنتج الفعال مما يظهر قيمة العمل في هذا المجتمع وكأنها معوقة لعملية التنمية ذاتها .

ولعل من المفيد الاشارة الى أن أهم الشروط الموضوعية للقيم أن تكون دافعة بالانسان الى عمارة الأرض والتنافس البناء بحيث يعطى الانسان أقصى طاقاته ويأخذ احتياجه الأساسي وعلى العموم فان الشروط الموضوعية تحتاج الى دراسة مستمرة من علماء الاجتماع الذين يرقبون مسيرة التنمية في اى مجتمع بعين فاحصة .. ولنا عودة الى هذا الموضوع .

دور العلم في التنمية :ـ

للعلم دور أساسي في العملية التنموية بجميع ابعادها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية واذا كانت التكنولوجيا قد غدت تلعب دورا هاما ومباشرا في كافة مجالات التنمية وخاصة في الصناعة فان لمساهمة العلم في التنمية أشكالا عديدة ومهام محددة وقد تطرق تقرير اللجنة التحضيرية لمؤتمر الأمم المتحدة في العلم والتكنولوجيا من أجل التنمية (٤) الى ذلك فأورد عدة اشكال يمكن للعلم أن يساهم في التنمية بها من أهمها :

- مساعدة العلم في فهم المشاكل المركبة والمعقدة .
- من خلال التعليم والتدريب .
- من خلال نشاطات البحث العلمى .
- من خلال انشاء وتحسين وصيانة ودعم التكنولوجيا .
- اشراك الجامعات العلمية والتكنولوجية في عملية التنمية .

---

(٤) المصدر السابق

- مساهمة العلم في تنمية الثقافة لتصبح اكثر شمولا وأعمق مردودا .

والعلم هنا يطلق بمفهومه العام ليشمل جميع العلوم الانسانية والاجتماعية والهندسية أو العلوم البحتة والتطبيقية لان لكل من هذه الأنواع دورها الهام في تنمية الأمم اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا .

دور التكنولوجيا في التنمية :

يفرد تقرير اللجنة التحضيرية لمؤتمر الأمم المتحدة (٥) فصلا كاملا لدور التكنولوجيا في التنمية ويشير الى عدة ملاحظات جديرة بالنظر .

- فالتكنولوجيا هى كمية المعلومات الجاهزة والواضحة اللازمة للقيام بعمليات الانتاج .
- ويصبح من اهم مهمات الأمم النامية ان تعمل على شحذ قدرتها التكنولوجية بحيث تكون قادرة على الاختيار والنقل والتبنى والتطوير والتطبيق للتكنولوجيا العلمية.

وأن هذه القدرة التكنولوجية يمكن تنميتها بالتعليم والتدريب والبحوث في ضوء المساعدات الدولية والظروف الاقتصادية والاجتماعية الملائمة .

- وعلى الدول النامية ان تراجع خططها لاختيار التكنولوجيا في ضوء الطاقة البشرية المطلوبة ومصادر الطاقة المتوفرة وعوامل البيئة المحيطة وأى ضوابط أخرى مملاه على هذا الاختيار .

---

(٥) المصدر السابق .

- وان موضوع نقل التكنولوجيا من الدول الصناعية الى الدول النامية يحتاج الى علاج جذرى من قبل المؤسسات الدولية .

لأنه اذا بقى الحال على ما هو عليه الآن فليس امام الشعوب البادئة في النمو غير الصبر على عمليات استنبات التكنولوجيا في بلادها .

« الذاتية في التنمية »

لعل من المسلمات أن مسيرة التنمية في أى مجتمع لن تكون راسخة الأركان عميقة الجذور فائضة المردود ما لم تكن نابعة من ذاتية ذلك المجتمع ، ومتطابقة مع تصوراته الفكرية ومتمشية مع احتياجاته ومن العيب القول بأن من الممكن استيراد التنمية في أشكالها المختلفة لتصب في قوالب اجتماعية معينة لأن التنمية ليست غاية في حد ذاتها ولكنها وسيلة للسير بالمجتمع الى مدارج التقدم والتطور . لهذا فان من المؤكد أن التنمية لكى تخدم المجتمع لا بد أن تتم في اطار اجتماعى محدد حيث يشكل هذا الاطار القاعدة الأساسية للاخلاقيات والقيم والمبادىء . كما أن عادات وتقاليد المجتمع قد تلعب دورا اساسيا في خطط التنمية سـلبا وايجابا .

واذا كانت التنمية مطلبا لمجتمع ما فان على أبناء هذا المجتمع يقع عبء تحقيق هذا المطلب . فبسواعد الشباب وبحكمة الشيوخ تلتحم الارادات وتنطلق الطاقات . ولعلني لا أبالغ اذا قلت ان الحرص على الذاتية في مواجهة التنمية هو الشرط المبدئي لانجاحها وأنه بغير هذا الشرط يمكن لكل المحاولات أن تتعرض للفشل والضياع .

اننا في المملكة مثلا نستطيع بحمد الله أن نستقدم أعظم خبراء العالم ليساعد في حل ما يعترضنا من معضلات التنمية ونضع بين يديه مجموعة من المعلومات الأولية التي ربما تعينه على مهمته ثم ننتظر الحل .. وكثيرا ما يخفق انتظارنا فيأتى الحل بعيدا

عن واقعنا الاجتماعى .. ذلك أن هذا الخبير قد تكونت معادلته الاجتماعية في بيئة مختلفة تماما عن بيئتنا ومهما اوتى من عبقرية فانه لن يستطيع أن يتلبس معادلتنا ، نحن ، الاجتماعية . وربما يجدر بكل العاملين في ميادين التنمية في بلدنا أن يتعرفوا على تجربة اندونيسيا مع العالم الالماني شاخت والتي رواها الأستاذ مالك بن نبى رحمة الله عليه في كتابه « المسلم في عالم الاقتصاد » والتي ننقلها هنا بحذافيرها لأهميتها البالغة فيما نريد أن نؤكده من معاني الذاتية في مواجهة معضلات التنمية .

يقول مالك بن نبى :

« يعرض لمجتمع أن يعد ، من أجل مشكلة ، ما يراه صاحب اختصاص لازما وكافيا لحلها ، ثم يفاجأ بأنها لم تحل على هذا الأساس .

ونستطيع أن نقول أن المجتمع الأندونيسي عاش في أواخر الأربعينات مثل هذه الظروف ، وعاشه معه خبير يشار له بالبنان في مجال التخطيط الأقتصادي هو الدكتور شاخت .

ولا شك أن فشل مخططه في النهوض باقتصاد أندونيسيا كان أمرا لم يتوقعه ، لما التزم فيه من دقة فنية من ناحية ، ولما توفر في نظره من وسائل مادية وبشرية كفيلة بتحقيقه . في رقعة من عليها الله بأخصب تربة تنبت من كل أنواع الخيرات ، في مناخ يجعلها تنتج من ثمراتها في ثلاثة مواسم ، وأسكن فيها مئة مليون من العباد يعجب الأنسان من ذكائهم ومن ذوقهم الجمالى المرهف .

ومع كل هذه المعطيات فشل المخطط ، فشلا ربما جعل صاحبه يراجعه ولكن لم يترك لنا الدكتور شاخت ، فيما أعلم ، نتيجة هذه المراجعة .

فيبقى لنا الحق اذا في طرح سؤال : ما هو الأمر الذي تعثر عليه مشروع شاخت حتى فشل ؟

اننا ، في الحقيقة ، نراجع تكوين شاخت كعالم اقتصاد تكونت خبرته في نهوضه بالاقتصاد الألماني في الفترة ما بين ١٩٣٣ ـ ١٩٣٦م ، اذ كان المخطط يتطلب من تراب المانيا الفقير ومن استعدادات الشعب الألماني في كل شروط النجاح ، وقد نجح فعلا النجاح الذي خول المانيا أن تواجه اقتصاديا أقصى الظروف العسكرية والمدنية اثناء الحرب العالمية الثانية وتصمد فيها .

ولا شك ان شاخت وضع مخططه على الشروط التي يقدمها الشعب الألماني مباشرة وبطريقة آلية أثناء مرحلة التطبيق ، ثم لا شك في أنه طبق هذه الشروط آليا في التجربة الأندونيسية ، أى أنه وضع مخططه على معادلته الشخصية كفرد من المجتمع الألماني ، بينما ستجرى التجربة الأندونيسية بطبيعة الحال على أساس معادلة الفرد الأندونيسية بحيث تعثرت التجربة الأندونيسية على خطأ مخططها شاخت في تقدير المعطيات البشرية في المجال الاقتصادي ، لأن ذهنه يحمل لهذه المعطيات صورة واحدة تطبق في أى تجربة تجرى داخل المانيا او خارجها .

بينما الواقع الأنساني لا يفسر على اساس معادلة واحدة بل حسب معادلتين :

١) معادلة بيولوجية تسوى بين الأنسان وأخيه الأنسان في كل مكان ، بحيث يستطيع هذا كل ما يستطيع الآخر ، الا فيما فضل فيه بعض الأفراد عن الآخرين .

٢)ومعادلة اجتماعية تختلف من مجتمع الى آخر وفي مجتمع واحد تختلف من عصر الى آخر حسب الاختلاف في درجة النمو او التخلف .

فأما المعادلة الأولى فهى موهوبة من الله الذي خلق الأنسان في أحسن تقويم وميزه على العالمين بالتكريم ، فهى منحة منه ، عز وجل ، الى كافة البشر .

أما المعادلة الثانية فهى هبة المجتمع الى كافة افراده ، كقاسم مشترك يطبع سلوكهم ويحدد درجة فعاليتهم أمام المشكلات بصورة تميزهم عن افراد مجتمع آخر ، أو عن

جيل آخر من مجتمعهم اذا كان الفاصل الزمني كافيا لطبع المجتمع بأسلوب آخر يتفق مع معادلة اجتماعية أخرى .

ويجب القول أن مصادر المعادلة الاجتماعية ، من الناحية الاقتصادية ، اثنان : المجتمع الذي اسميناه القارة الاقتصادية الشمالية ، والذي اسميناه القارة الجنوبية كلاهما يطبع سلوك الأفراد بدرجة معينة من الفعالية ، بحيث نستطيع أن نعتبر هذه الفعالية مقياسا لقدرة الفرد ، حسب بيئته ، على الهيمنة على أسباب الحياة الاجتماعية ، قدرة تختلف اليوم من محور واشنطون ، موسكو « القارة الشمالية » حيث يسود الامكان الحضاري ، ومحور طنجة – جاكرتا حيث يفقد هذا الامكان كأنما تتدخل ضمنا مجموعة شروط أولية في تحديد مواقف الفرد امام المشكلات وبالتالى في تحديد نتائج هذه المواقف .

فهذه المجموعة من الشروط تكون ما نسميه المعادلة الاجتماعية التي تشرط بطريقة ضمنية مواقف الفــرد ونتائجها ، بحيث تخضع هذه النتائج الى نوع من الحتمية ربما تمجها حساسيتنا .

ولكن لعلنا اذا ادركنا طبيعة هذه الحتمية ، ندرك مدى سلطاتها على تصرفنا في الوقت الراهن ، ومدى حريتنا معها اذا ما صممنا على تغيير معادلتنا الاجتماعية على الطريقة التي اتاحت تغييرها لمجتمعات اخرى ، مثل اليابان في أواخر القرن الماضي ، والصين في منتصف هذا القرن .

فنفترض فرضين :

١) أن مولودا أتى على محور واشنطون – موسكو : سيخضع قطعا ، منذ اللحظة الأولى ، الى قانون الأعداد الكبرى ، اى الى القانون الاحصائي . أنه سيكون له – في التعليم ورعاية الصحة طفلا ، وفي العمل رجلا – حظ على نسبة نشر التعليم ، ورعاية الصحة والعمل على محور ولادته ، اى فوق ٩٠٪ .

٢) ان مولودا أتى على محور طنجة – جاكرتا : سيخضع ايضا الى القانون الاحصائي : أى أن مصيره سيتحقق على نسبة ما دون ٤٠٪ من التعليم ورعاية الصحة والعمل ، أى أنه سيتحقق على مستوى مواهبه المطابقــة لمعادلتــه

البيولوجية ، ولكن على نسبة المعادلة الاجتماعية لمن سبقه في مجتمعه ، بحيث اذا ولد في الهند ، مثلا ، فان له ٢٥٪ من الحظ ان يكون منبوذا و ٧٥٪ من الحظ أن يكون عاطلا عن العمل ، مهما كانت مواهبه الشخصية بحيث يتبين من خلال هذين الفرضين بأن تصرف الفرد مقيد بشروط اجتماعية سبقته الى الوجود ، وبالتالى أن فعاليته مشروطة بمعادلة اجتماعية يجدها في مهده ، وهى تفرض على سلوكه نوعا من الحتمية لا يتخلص منه الا بعملية تغيير لمعادلته الاجتماعية ، كما حدث ذلك في اليابان اثناء ما سمونه بالعهد الميجى ، وفي الصين اثناء الثورة ، والثورة الثقافية بوجه خاص .

فالشعوب التي تعيش على محور الشمال قد سوت مشكلة المعادلة الاجتماعية بطريقة تلقائية ، مع التجارب التي تتابعت منذ بداية العصر الصناعى ، حتى أدت الى ظهور تايلور الذي وضع مذهبه « التايلورية» كتتميم لما صنعته الأيام في جوهر المعادلة الاجتماعية التي كان هو نفسه وأفكاره في تنظيم الانتاج احدى نتائجها .

ولم يكن الدكتور شاخت ، هو الآخر الا احدى هذه النتائج ، قد تلقى تلقائيا نفس المعادلة كأى فرد الماني ، واصبح يطبقها تلقائيا حتى في غير مكانها ، مثلا في مخططه الاندونيسي ، دون ان يفكر أن المجتمع الأندونيسي لا زال في حاجة الى من يصنع له معادلة اجتماعية تخوله القيام بانجاز اى عمل يقتضي نسقا وتنسيقا فرديا واجتماعيا .

فنستطيع القول بأن مخطط شاخت قد فشل في اندونيسيا ، مع توفر كل الشروط الفنية والمادية ، لأنه فقد شرطا ضمنيا ليس من اختصاص رجل الاختصاص في الأقتصاد أن يفكر فيه .»

ان حادثة الخبير الأقتصادي شاخت هذه والتي نقلناها كاملة تكررت أو يمكن أن تتكرر في عالمنا الاسلامي . فيروى لنا اخ من بلد عربي شقيق :

ان المسؤلين في بلده استدعوا خبيرا اوربيا لدراسة تكدس المرور في عاصمة هذا البلد الشقيق . وبعد مضى عدة شهور من

المراقبة والملاحظة والدراسة خرج ذلك الخبير برأى غريب : أن دعوا كل شيء كما هو فانه لا يدرى كيف تسير الأمور .

ومرة أخرى لقد افتقد هذا الخبير الذاتية لأن معادلته الاجتماعية تكونت في بوتقة اخرى بحيث لا يستطيع ان يرى ايجابيات وسلبيات الحركة البشرية في بوتقة غير بوتقته .

ولنضرب من واقعنا نحن مثلا آخر فالمرور في مدينة كالرياض أو جدة لا يتعلق فقط بمشكلة الاكتظاظ ولا بوفرة الشوارع واتساعها ولا بالتحكم في المرور عن طريق الاشارات لأن كل هذه امور تقنية واضحة التأثير على عمليات المرور ويفهمها اى خبير سواء كان وطنيا أو أجنبيا .. ولكن التكوين الاجتماعى للأنسان الذي يشارك في أزمة المرورو هام جدا ولا بد من أخذه في الاعتبار . اذ أن جزءا من الاصلاح في موضوع المرور يتعلق بأخلاقيات الناس وفي حالتنا فان التوعية القرآنية في هذا المجال جديرة أن تنجح اى نظام للمرور يقوم على العلم والتجربة . فافساح الطريق للغير وتحرى الدقة في الالتزام بقوانين المرور واحترامها وخوف الله سبحانه وتعالى قبل خوف العقوبة وخفض الصوت للغير .. كل هذه آداب اسلامية يمكن ان يبحث المهتمون بالتربية كيف يغرسونها في نفوس الناس .. فاذا تكونت المعادلة الاجتماعية للفرد آخذة في الأعتبار هذا النوع من التربية اصبح ذلك جزء لا يتجزأ من اصلاح المرور .

ان الأمثلة التي سردناها جديرة بأن توضح كيف يجب لقضية التنمية أن تتطلب جهودا ذاتية متعلقة بمعادلتنا نحن الاجتماعية بحيث لا يستطيع أى خبير أجنبي أن يضطلع بها .

ان علينا أن نقول لمن نستقدم من خبراء ومستشارين ليساهموا معنا في مشاريع التنمية في بلادنا « شاركونا تقنيا في

التنمية وخذوا أجركم » لا أن نقول لهم « نمو بلادنا وخذوا من خيراتها » .

ولا بد من الاشارة الى أننا معشر المثقفين السعوديين يمكن ان نكون هذا الخبير الأجنبي الذي يقدم استشارته بعيدا عن واقعنا الاجتماعى عندما نقرر حلولا او نصر على قبول حلول لا تأخذ في اعتبارها التكوين الاجتماعى للفرد السعودي .. فرغم اننا جميعا نشأنا في البوتقة الاجتماعية للأنسان السعودي الا اننا تلقينا خارجه تقنيات مختلفة وتأثرنا بمجتمعات اخرى تأثرا قد يكون خفيا علينا انفسنا ساعة تصدينا لحل مشكلة تعرض علينا .. وقد يترسب ذلك التأثير في مشاعرنا الباطنة ويتستر خلفها ثم يبدو واضحا في فكرنا التنموي .. ونحن لسنا ضد التأثر بمجتمعات أخرى شريطة أن لا يعوق ذلك عمليات التنمية في بلادنا وأن يكون عونا لنا لا عونا علينا .

ان من أهم الواجبات الملقاة على عواتقنا ــ نحن جيل هذه المرحلة التنموية التي تعيشها بلادنا ــ ان نقوم بتفريغ أى مشروع من مشاريع التنمية من محتواه الاجتماعى ليصبح تقنيا بحتا قبل ان نستقدم له خبراء من خارج الوطن او نقذف به في ايدى المتواجدين منهم داخل الوطن ليتولوا هذا الجانب التقني بالدراسة وعرض الحلول . لأننا بذلك نضمن نجاح مشاريعنا وموائمتها لمعادلتنا الاجتماعية . ان من المهم التأكيد على ان تكون مهمة الجزء الاجتماعى من مشاريع التنمية في بلادنا منوطة بنا وأمانة في أعناقنا .. نحاول معها ما وسعنا الجهد واسعفتنا التجارب .. حتى لو أخطأنا فلا تلاوم ولا تعاتب بيننا ما دمنا مخلصين .. ولأنه لا حل غير هذا .. وسوف يكون خطأنا عظيما ومضاعفا اذا اعطينا هذا الجزء الاجتماعى لقوم تختلف معادلتهم الاجتماعية عنا لاختلاف ظروفهم وبيئتهم ..

« التراث والتنمية »

لقد كان من الممكن أن تسبق كلمة «التنمية» كلمة «التراث» في عنوان هذا الموضوع ليصبح «التنمية والتراث» بدلا عن «التراث والتنمية» والفرق بين العنوانين لا يغيب عن فطنة القارىء غير أننا آثرنا أن يقدم التراث على التنمية . لما في هذا التقديم من مدلول ومعنى فيما سوف نسرده من أفكار وآراء فيما بعد .

ومن المفيد أن نعيد هنا ذكر التعريف الذي أوردناه من قبل عن التنمية بمفهومها الشامل كما أن من الواجب أن نعرف ما نعنى بالتراث ليكون الحديث عنه متصلا بهذا التعريف وفي اطاره وحتى يفهم ما سوف نطرحه من أفكار في هذا الموضوع على ضوء التعريف المحدد لكلمتى التراث والتنمية .

قلنا أن للتنمية أبعادا واعتبارات تخرج عن كونها استثمارا اقتصاديا أمثل للدخل الوطني من خلال برامج ومشاريع تسعى الى رفاهية المجتمع وتطوره الى كونها تهدف الى استخدام الموارد الاقتصادية والطاقات البشرية المدربة وتنميتها لرفاهية مختلف قطاعات المجتمع مع الحفاظ على الصالح من قيم المجتمع التاريخية والأخلاقية والسياسية .

أما التراث فهو ــ في رأينا ــ نوعان الأول هو مجموعة المبادىء والقيم والأخلاقيات المسلمة أما التي ترتكز على عقيدة التوحيد الربانية بمصدريها القرآن الكريم والسنة النبوية أما النوع الثاني فهو مجموعة أفكار وآراء قد انبثقت عنها نظم أو نظريات يكون للبشر دور أساسي في وضعها وتعتمد بشكل رئيسي على الاستنباط والأجتهاد .

واذا كنا لا نناقش النوع الأول من التراث لأنه يستند على عقيدة التوحيد التي نلتزم بها وندين لها كمسلمين نصا وروحا فاننا نعتقد أن بامكاننا مناقشة النوع الثاني منه لعدة أسباب أهمها أن مجموعة الأفكار والآراء والنظم والنظريات التي انبثقت عنها نظم ونظريات هى بشرية وليست ربانية وطالما أن الأمر كذلك فان هذه الأفكار والآراء والنظم والنظريات تتأثر بالبيئة التي ولدت فيها وبالظروف المحيطة بها وبالفترة الزمنية التي عاشتها وبالتالى فهى أجدى بالمناقشة وأجدر بأن لا ترفض ككل ولا أن تقبل ككل ولنضرب مثلا بالاقتصاد في الاسلام .

فالمعروف أن الزكاة واجبة وأن الربا والأحتكار محرمان وأن المال مال الله وأن الانسان مستخلف فيه . كل هذه مجموعة من المبادىء والقيم والأخلاقيات التي وضعها الاسلام في المجال الاقتصادي ولا تقبل المناقشة أو التحدى لارتكازها على العقيدة التي نخضع لها ونلتزم بها ولكن تلى ذلك اجتهادات واستنباطات تبلورت في أفكار ونظم ونظريات في الاقتصاد الاسلامي على فترات مختلفة ولظروف متباينة وظل حبل الاستنباط والدراسة والبحث موصولا حتى يومنا هذا مما يجعل قضية هذا النوع من التراث عرضة الى تبادل الرأى وربما اختلافه وهو هذا النوع من التراث الذي نعنيه في حديثنا فيما نعرضه من أفكار عن التراث والتنمية .

وربما يكون مفيدا أن نؤكد بادىء ذى بدء ، قناعة ذاتية ، بأننا يجب أن نلتفت الى التراث بنوعه الثاني بقدر استطاعته المشاركة في عمليات التنمية المختلفة خاصة وأن بعدا انسانيا خارج اطار الاقتصاد لا بد من تأكيده من خلال البرامج والخطط التي تتصدى الأمة لتنفيذها هذا البعد هو الذي يتصل باعداد الانسان اعدادا متوازيا لا يبطره الترف ولا يسحقه الفقر وانما يتخذ لنفسه عن رضا وقناعة طريقا وسطا .

وأمر آخر لا بد من تأكيده وهو أن التراث ـ بنوعه الثاني الذي عرفناه ـ لا يخرج عن أن يكون اما حقنة مخدرة أو أن يكون حافزا للانطلاق بمعنى اما أن يلعب دورا سلبيا أو أن يقوم بدور ايجابي في مانتطلع اليه من تنمية وتطور . والدور السلبي للتراث يكون بأن نستخدم أمجاد التراث كمطمئن ومسكن ومهدىء يلهينا عن التفكير في حاضرنا ومستقبلنا فنظل نجتر هذه الأمجاد وننسى واقعنا ومشكلاته ونفصل فصلا مبينا بين عالم الماضي وعالم الحاضر ولا نجعل بينهما جسرا .

اننا لا ننكر أن حقنة الذات التي يمكن أن تقوم بها أمجاد التراث مطلوبة لإعطائنا الثقة اللازمة في أنفسنا وفي قدرتنا على العمل المستقبلى الجاد البناء ولكن بشرط أن لا تتجاوز حقنة الذات أثرها المرجو فتصبح حقنة مخدرة تحدث أثرا عكسيا في التساؤل عن أهمية ربط الحاضر بالماضي مما قد يشجع على الانفلات من كل المؤثرات التراثية والبحث عن الجديد في حضارة الغير وهذا ما لا نرتضيه لأنفسنا .

إذا لا بد من تعزيز الدور الايجابي للتراث في عمليات التنمية بأن ننظر اليه على أنه حافز لمزيد من الجهد المخلص والمثابرة الجادة لنعيد بذلك سيرة أجدادنا ومجدهم الذي يمثله التراث المتراكم خلال اجيال آمنت بنفس العقيدة التي نؤمن بها اليوم وأنطلقت من نفس المنطلقات الايمانية التي ننطلق منها اليوم .

وللاستفادة من التراث في عمليات التنمية المختلفة يجب أن نوجد «دالة تعالق وترابط» (Correlation function) بين اى فترة نجتازها الآن والفترة المشابهة في نمو حضارتنا السابقة . وذلك أمر هام جدا خاصة وأن تراثنا قد تراكم لدينا خلال أجيال متتابعة فهو محصلة الجهد البشري في فترات مختلفة بما فيها فترات الانحلال والهبوط .

إننا لا يمكن أن نقبل كثيرا من العلوم التي شاعت في عصور الانحطاط التي مرت بها الأمة الاسلامية والتي تخوض في نظريات حول الأرض وما يحملها ، بينما نرى بين أيدينا بحوثا ممتازة حول نفس الموضوع لعلماء مسلمين في عصر الأزدهار الاسلامي .. فهناك فرق علمي ملحوظ بين ما كتبه «ابن أياس » المؤرخ المصري المسلم مثلا في عصور الانحطاط عن منابع النيل وبين ما كتبه العلماء المسلمون قبله في عصور الازدهار حول نفس الموضوع أمثال المسعودي وغيره .

من أجل ذلك كان من الأهمية بمكان أن تتضح لدينا « دالة تعالق وترابط » بين مرحلتنا الراهنة ومرحلة مشابهة في الحضارة الاسلامية التي نبتغي الاستفادة من تراثها .

واننا لمن المؤمنين بأن أصول الفقه الاسلامي التي تبلورت خلال عصور النهضة الاسلامية قادرة على ان تعيننا اليوم بالكثير بشرط أن نتجاوز القوالب الشكلية لنصل الى الجوهر ذاته . ويؤكد لنا هذا المعنى احد الدارسين للفقه الاسلامي والمتخصصين فيه والباحثين في دروبه وهو (الدكتور عبد الوهاب ابو سليمان) (١) عندما تحدث عن كيفية تطوير تراثنا الفقهى بقوله :

« أما بالنسبة للتراث الفقهى نفسه فتطوره يقتضى أمورا :
اولا : اعطاء الدراسات الفقهية المقارنة في الاطار الاسلامى وخارجه اهمية كبيرة وجهودا مركزة ..
ثانيا : يأتى تبعا لذلك الاهتمام بعلم أصول الفقه فهو العنصر الرئيسي للفقه والمادة الاسلامية الموجهة للاجتهاد الصحيح ..

---

(١) الفقه الاسلامي مشاكله ووسائل تطوره ، مجلة جامعة الملك عبد العزيز السنة الأولى العدد الأول ـ جمادى الثانية ١٣٩٥ هـ ص ٦٠ ـ ٦١

ثالثـا : اعـادة تقويـم أحـكام المسائـل الفقهيـة مما كانت أحكام الفقهاء فيها مبينية على الاجتهاد المتأثر بعادات وعرف أهل زمانهم ثم اختلفت تلك المعايير والمقاييس التي كانت تحكم تلك العصور الى معايير ومفاهيم أخرى في كافة المجالات بسبب تقدم الوسائل والمعرفة الانسانية ..»

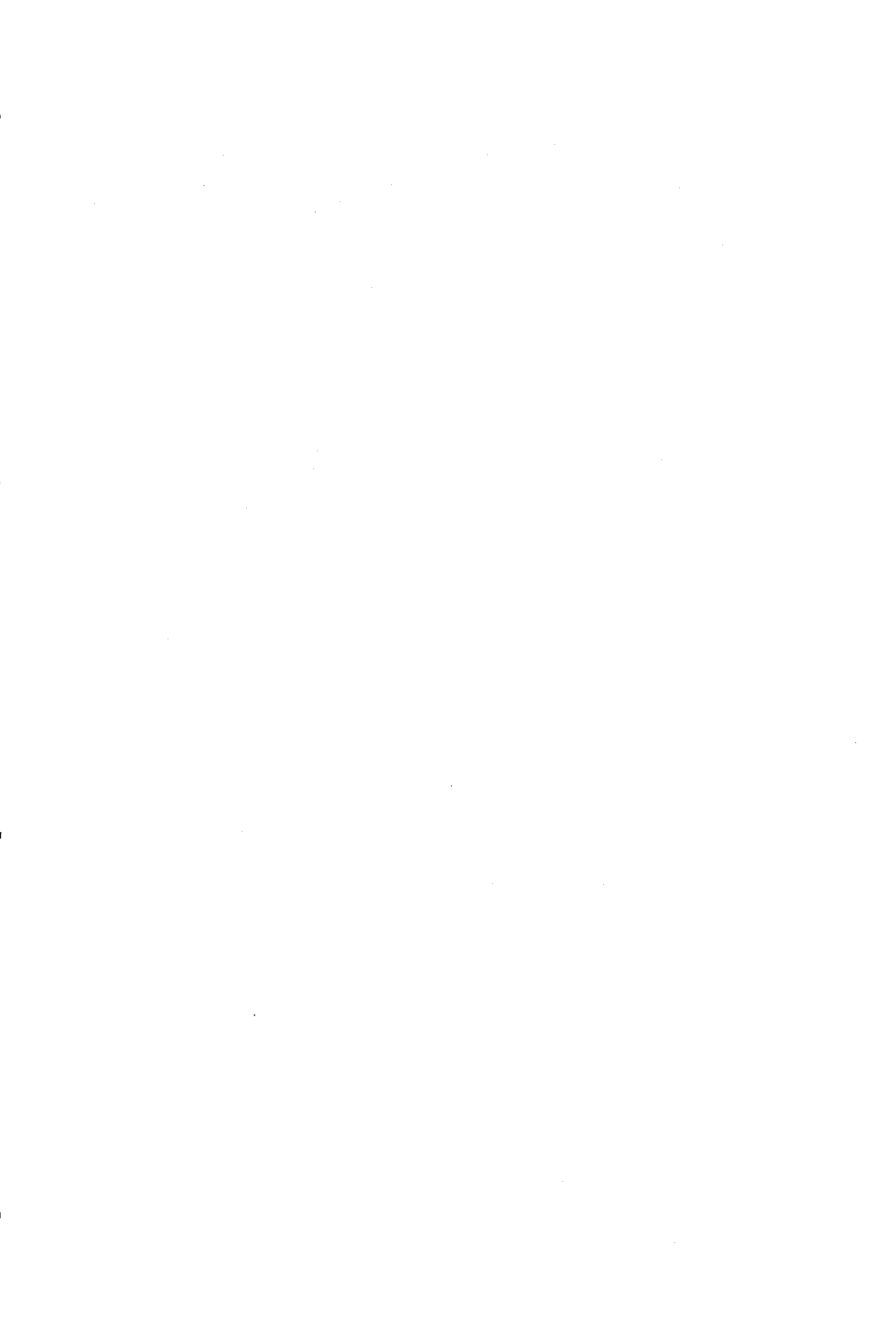
ان العلامة بن القيم (٢) رحمه الله أوضح ذلك بقوله :

« لا يجوز للمفتى أن يفتى بالاقرار والأيمان والوصايا وغيرها مما يتعلق باللفظ بما اعتاده هو من فهم تلك الألفاظ دون أن يعرف عرف أهلها والمتكلمين بها فيحملها على ما عتادوه .. وعرفوه وان كان مخالفا لحقائقها الأصلية فمتى لم يفعل ضل وأضل ..»

ان علينا أن ننظر الى التراث كحركة دائبة متجددة لا نصوصا خامدة ميتة .. وعندما تتغير نظرتنا الى التراث لتصبح حية متحركة تصبح بعدها قدرتنا على الاستفادة من التراث ممهدة وميسورة ..

---

(٢) ابن القيم ، اعلام الموقعين ، ج ٤ ص ٢٨٨



« التنمية والطاقة البشرية »

في هذا البحث سوف يجد القارىء محاولة لالقاء الضوء على معضلة من معضلات التنمية في بلدان تطمح أن تحل التنمية مشكلات التخلف فيها . وهدفنا الأساسي من ذلك هو الاحاطة الكاملة والتحديد الدقيق بالقدر المستطاع لكافة المتغيرات التي تحكم المشكلة .. ثم دعوة واستنفار كل العاملين في حقل التنمية ليدلوا بدلائهم في حل ديناميكي لمشكلة تهم النمو الوطني في الصميم .. دعونا اذن نطرح المشكلة :

بلد يملك امكانيات مادية ويفتقر الى طاقة بشرية مدربة أو مؤهلة علميا وانطلاقا من طموحات هذا البلد فانه يود أن يسرع خطاه في عمليات التنمية فيضطر أن يستقدم ما يحتاجه من طاقة بشرية من خارج حدوده . ولكن هذه الطاقة البشرية المستوردة بها نسبة منتجة ونسبة مستهلكة (اى الخدمات المطلوبة لهذه الطاقة البشرية) . فاذا زاد معامل الطاقة البشرية الاستهلاكى على معاملها الانتاجى أصبحت هذه القوة المستقدمة عبء على البلد لا عونا له .. ولن يكتسب التعريف بالمشكلة المطروحة للنقاش أهمية خاصة للوصول الى حلها الا بالتعرف على العوامل والمتغيرات التي تتحكم في المشكلة وهى :

- نوعية التنمية المطلوبة (هل هى من النوع الاستهلاكى ام النوع البنائي) والاستعداد الوطني للمشاركة
- حجم التنمية المرجوة .
- سرعة انجاز التنمية المرجوة .

- نــوع الطاقــة البشريــة المطلوبــة للتنميــة وزيادة معاملها الانتاجى على معاملها الاستهلاكى .
- التفاعل الحضارى بين الطاقــة البشريــة القادمة للعمل والمجتمع الذي تساهم في تنميته .

ويمكن استعراض هذه العوامل كلا على انفراد لنتعرف على تأثيرها على الحل المنشود .

نوعية التنمية المطلوبة :

هل هى من النوع الاستهلاكى أم النوع البنائي والاستعداد الوطني للمشاركة ؟.

إن أى مجتمع كمجتمعنا تنقصه الكثير من الخدمــات الأساسية ومتاح له ــ بفضل الله ــ وفرة مادية سوف يسعى جاهدا الى توفير الخدمات وهنا يكمن اساس من اسس التنمية .

فالمجتمع اذا ما كان مجتمعا مفتوحا ووضع هدفا لنفسه أن يحقق لكل فرد فيه نفس الخدمات الاستهلاكية المتاحة في مجتمعات صناعية متقدمة فانه بذلك يسقط في بئر التنمية الاستهلاكية ويتحول الى مجتمع استهــلاكى . فلتحقيــق هذه الخدمــات الاستهلاكية لا بد من قيام مؤسسات للتنمية الاستهلاكية وهذه ستحتاج الى طاقة بشرية تستورد مع الأشياء القادمة . فعندما يريد الفرد أن يقتنى أجمل السيارات وأعظم الثلاجات والغسالات والتليفزيونات والمكيفات وأن يكون له بيت من زخرف على أروع ما سكن الانسان في مجتمع متحضر فانه لا بد أن يحضر مع هذه الأشياء من يقدر على صيانتها وفهمها ذلك لأن خدمات المجتمع الصناعى كلها خدمات متقدمة تقوم على العلم في استعمالها وصيانتها .. اى يصبح هذا هو هدف التنمية القريب .. ولأن عالم الأشياء لا ينتهى في العالم الصناعى .. ومحنة التقليد والاخلاد

لعالم الأشياء محنة قاسية يصبح هذا الهدف القريب هدفا دائما وتظل مشكلتنا التي أوضحناها في مقدمة الحديث مشكلة دائمة مستمرة .

ومن الملاحظات التي يلحظها الانسان في « ديناميكية » التغيير الاجتماعى أن ظاهرة الاخلاد المستمر لعالم الحاجات والخدمات مرض سريع الانتشار .. ربما لا نتجاوز القصد ، اذا ما أسميناه بالطاعون الاجتماعى .. فبمجرد اقتناء فرد لشيء جديد وباعلان هذا في مجتمع الشخص القريب نتيجة مرض اجتماعى آخر اسمه التباهى تبدأ عملية الأقتناء لنفس الشيء تنتشر نتيجة مرض آخر اسمه التقليد . والانسان الذي يبحث عن حضارة يقيمها بما صنعت يداه لا بد أن يلتفت التفاتا عظيما لهذه المشكلات الأخلاقية .. لأنها في الحقيقة هى مشكلات التنمية الأساسية . فالانسان في غياب ضميره الأخلاقي ينحط لعالم غريزي جبل على التكاثر . يستكثر من الأشياء حتى اذا ملها بحث عن شيء جديد .. ولن يوقف حركة نفسه الهابطة في عالم الأشياء الا الانتقال الى عالم الخلود .

ومن المدهش ونحن نستروح عبيق أيام النبوة الأولى في طيبة الطيبة نجد المجتمع المسلم الأول وهو حريص على أن يصل الى قمة التكنولوجيا المعاصرة ـ ان صح هذا التعبير ـ ركز فقط على الصناعات الحربية وأغفل كل الصناعات الأخرى للمقتنيات الترفيهية فالمجتمع المسلم وفي قمته كان رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ضرب المثل الأعلى في الاعراض عن عالم الحاجات الترفيهية .. كان يقول عندما يستغرب بعض أصحابه :

« انما أنا ابن إمرأة كانت تأكل القديد في مكة »

ويقترح بعض الصحابة سريرا للنبي العظيم فيؤثر أن يظل على حاله وينام على حصير يؤثر في جنبه .. ويدعو الله :

« اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين .»

تلك هي فلسفة البدء الحضاري .. أما الترف فهو طابع الختام الحضاري .. وأمة تريد البدء لا يمكن أن تنطلق من عالم الحاجات حيث يقتلها الترف من حيث بدأت .

نعم دستور البدء الحضارى هو كما حدده سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث العظيم الذي نكرره ولا ندرى أنه لب البدء في أى مشروع وطني للتنمية الحضارية .

ان نوعية التنمية المطلوبة يضع قيودا على عملية التنمية نفسها فكما اسلفنا عن التنمية الاستهلاكية وعن دورها في اخلاد الأفراد الى ترف من شأنه أن يعوق عملية التنمية ذاتها حيث أن التنمية في هذه الأحوال لا تساعد في قيام قوة انتاجية محلية حريصة على الابدال المستمر للطاقة البشرية المستقدمة بطاقة بشرية وطنية . فالترف بطبعه يثبط الهمم عن التعلم والتدرب ويهبط بالاستعداد الوطني في هذه المجالات الى أسفل الدرجات .

نخلص من هذا الى أن نوعية التنمية يجب أن تتركز في تنمية الانسان أى في تنمية الطاقة البشرية ، وأى اتجاه للتنمية لا يركز على الانسان سوف يجد نفسه في هذه الدائرة المغلقة حيث سيظل دائما أسير عالم الأشياء الذي يتجدد دوما وتتجدد معه الحاجة الى طاقة بشرية قادمة معه ولن يخرج المجتمع من هذه الدائرة المغلقة الا بموقف اخلاقي يتحدد في أمرين :

أن تعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا

وأن تعمل لآخرتك كأنك تموت غدا .

كما قال الحبيب النبي الرسول محمد صلوات الله وسلامه عليه موجزا في بلاغة لا تؤتى الا لسيد الرسل مما يمكن أن نعتبره مبدأ التنمية البنائية .

حجم التنمية المرجوة :

في ظروف كظروفنا حيث نجد انفسنا في مواجهة حضارة باسقة الزروع ما تكاد تنتهى من دور تكنولوجى حتى تنتقل الى حال جديد ونحن ما زلنا على حالنا يفصلنا عنها عصور البخار والكهرباء والحاسبات الآلية في فجوة ذات ديناميكية معقدة لم نصل بعد الى فهم واضح لطبيعة تجاوزها .. في مثل هذه الظروف التي تملى على المشتغلين بالتنمية ضغوطا نفسية غاية في التعقيد يلجأ مخططوا التنمية الى زيادة حجمها المرجو زيادة كبيرة على أمل اللحاق بركب الحضارة المسرع في خطاه وفي اغلاق الفجوة التي تبدو وكأنها تزداد مع الأيام اتساعا .

ان حجم التنمية المطلوبة لا يمكن ان يتم عفويا ودون دراسة واعية لأن هذا الحجم تحدده عوامل كثيرة متشابكة . ففي دولة أوربية مثل انجلترا في خلال الحرب العالمية الثانية وما قبلها لاحظ مخططوا التنمية هناك أن التكنولوجيا الالكترونية ليست كما ينبغي لها اذا ما قورنت ببلاد أوربية أخرى .. ومع كل ما تملك انجلترا من جامعات عظيمة ومعاهد تكنولوجيه متقدمة . مع هذا كله وجدت نفسها تخطط لاغلاق هذه الفجوة باعداد الطاقة البشرية منذ الطفولة للانطلاق في هذا الميدان ، فشجعت لعب الأطفال ونوادي العلوم لاحداث ميل أو إن شئت فقل هوى اليكتروني في نفوس الأطفال والصبية .. لا يؤتى أكله فورا وانما يؤتى أكله بعد حين .

وعندما نقرر حجما للتنمية يفوق ما لدينا من طاقة بشرية سوف يستلزم ذلك اللجوء لاستيراد طاقة بشرية تحتاج الى رعاية وتعهد لتزداد فعاليتها وتزيد من انجازاتها . وربما كنا لا نملك بعد الوسائل والخدمات المطلوبة فتقلق هذه الطاقة البشرية المستوردة

ويصبح استقرارها أمرا عزيزا كما تصبح فعاليتها بسيطة للغاية بحيث يؤثر ذلك بدوره على حجم التنمية المطلوب .

وهكذا نجد انفسنا في دائرة مغلقة أخرى . فنحن قد استوردنا الطاقة البشرية الضخمة من أجل تحقيق حجم التنمية الطموح .. ولكن لأن مستوى الخدمات للعناصر التي نحرص على بقائها غير كاف لاستقرار هذه العناصر . فتقلق وتفر ونلجأ نحن الى مزيد من الطاقة البشرية حتى نعوض الفاقد أو نكتفى بطاقة بشرية ترضى بنوع الخدمات التي نقدمها ولن تكون هذه الطاقة البشرية بالكفاءة المطلوبة بحيث نعود مرة أخرى لنفس المشكلة .

سرعة انجاز التنمية المرجوة :

لقد تحدثنا عن عامل النوعية وعامل الحجم والآن نتحدث عن عامل السرعة المرجوة لانجاز التنمية وهو عامل هام نحاول في هذه العجالة أن نطرح بعض الأفكار حول أهميته .

وأول ملاحظة نستخلصها من تجارب شعوبنا في ميدان التنمية أنها تصاب بمرض تنموى اسمه « الاستعجال » .. حيث تستعجل الأمة ثمرات زروعها ولا تصبر على عسر التجارب وما تحتاجه من وقت وجهد .. أى أن تفاعلنا مع الزمن يحتاج الى نظرة جديدة .. نظن أن الجزء الأعظم منها أخلاقى .

وهذا « الاستعجال » من قبل الشعوب التي تحاول التنمية يضع ضغطا نفسيا آخر على المشتغلين بالتنمية فيسرعون خطى برامجهم التنموية غير واضعين في الاعتبار الآثار الجانبية لزيادة السرعة والتي قد تكون ذات مردود عكسى .

فيبدو من تاريخ الشعوب التي قد سبقتنا على طريق التنمية أن هناك « سرعة طبيعية » للتنمية تبدأ بطيئة ثم تتزايد قليلا حتى تصل الى سرعة أسية في مراحل النمو النهائي .

ان هذه السرعة الطبيعية تختلف من أمة لأمة حسب ظروفها التاريخية واستعدادها الحضاري أو ما نسميه فعاليتها الروحية ولكن المراحل التي حددناها من أن السرعة تبدأ بطيئة فتتزايد وربما وصلت الى حالة تشبع ثم تزيد بعد ذلك بطريقة أسية .. هذه المراحل تبدو خاصية ثابتة من خواص السرعة ولا يمكن للمخطط أن يتجاوزها في مخططاته التنموية .

فاذا أخطأ المخطط فتجاوز في سرعته ما يجب أن تكون عليه السرعة الطبيعية فانه يتعثر أول ما يتعثر في موضوع الطاقة البشرية الذي هو جـوهر حديثنا .

فالسرعة المتجاوزة للسرعة الطبيعية سوف تتطلب طاقة بشرية كبيرة وهذه بدورها تحتاج الى خدمات كثيرة لا بد أن نستعجل أيضا في القيام بها ويستدعى ذلك تكلفة مضاعفة .. ونطمع حينئذ أن تتكون الكوادر البشرية الوطنية لتقوم هى بالبناء المرجو وهنا تكمن مشكلة السرعة المتجاوزة للسرعة الطبيعية حيث أن هذه السرعة ربما كانت أسرع من معدل « الالتقاط الحضارى » للطاقة الوطنية فيمر الوقت دون أن تستفيد الطاقات الوطنية مما ترى حولها .. تماما كما يحدث عندما يتجاوز مدرس في سرعة شرحه السرعة الطبيعية للالتقاط الذهني لتلاميذه فيبقى التلاميذ صم بكم لا يفقهون .

نوع الطاقة البشرية المطلوبة وزيادة معاملها الانتاجى على معاملها الاستهلاكى : -

قبل أن نخوض في حديثنا عن الطاقة البشرية المطلوبة وزيادة معاملها الانتاجى على معاملها الاستهلاكى في بلادنا نود ان نلفت الأنظار الى ما يحدث في بعض الأقطار الأخرى لعلنا نخرج من هذا بعبرة واضحة .

ففي ذروة الحضارة المعاصرة تقف الولايـات المتحـدة الأمريكية بملايينها البشرية التي تربو على المائتين .

فاذا تابعنا « الفيض البشري » الداخل والخارج من حدود هذه الدولة الكبرى نلاحظ عدة أمور جديرة بالاهتمام .

أولا — نلاحظ أن الفيض الخارج من حدودها صفرا أو في حكم الصفر

ثانيا — نلاحظ سياسة هادفة للفيض الداخل اليها نظن أنها مرسومة بعناية بالغة .

فهى تعنى بنوعية الداخلين اليها لتكمل بهم نقصا في ميادين مختلفة .. فنرى مثلا أنه في فترة ما تشجع هجرة المهندسين اليها بينما في فترة أخرى تشجع هجرة الأطباء وهى بهذا تشجع الخبرات الخاصة وتشجع كذلك هجرة الأذكياء الوافدين اليها ليكملوا دراساتهم العليا . وهى بالطبع تضع قوانين للهجرة مشجعة فيض الأذكياء ليدخل وليستقر .. فكل القوانين هناك تساوى بين المهاجر والمواطن .. فكلاهما مواطن بكل معنى الكلمة .. ومن هنا ينطلق المهاجر الجديد محاولا أن يصنع لنفسه دائرة في المجتمع الجديد .. منطلقا بكل ما أوتى من عزم حضارى كالوميض الذي يملأ صدور الرجال في لحظات الميلاد لحضارات جديدة .. هكذا ينطلق المهاجرون الجدد .. وحتى يخمد الوميض في صدور ذرياتهم يكون الفيض الجديد من المهاجرين الأذكياء على وشك ميلاد جديد لعزم من حديد .. وهكذا تمضى الأمور في الولايات المتحدة الأمريكية .. هجرة متجددة لأذكياء العالم في صورة فيض بشرى عبر الحدود لهذه القارة الجديدة التي أصبحت بسياستها هذه متفردة في حكم كرتنا الأرضية التائهة في الفضاء . اذا فنوعية الطاقة البشرية الداخلة للولايات المتحدة نوعية راقية للغاية ذات معامل انتاجى يربو بكثير على معاملها الاستهلاكى .

وكمثال آخر مغاير من دول العام الثالث نضرب مثلا بحالة احدى هذه الدول :

نجد أن فيضا بشريا من نوع راق يخرج عبر حدودها وقلما يعود اليها .. تبتلعه العواصم الحضارية فيذوب في بواتقها ويفقد الذاكرة الحضارية والهوية الذاتية ويستسلم للحضارة المتفوقة وينسى أنه مطلوب للبناء في عالم يفيق من نوم طال قرونا .

هذا الفيض الخارج عبر الحدود في هجرة مستمرة منذ عشرين عاما قد أوقف التقدم التكنولوجى في تلك الدولة حيث ظل كما هو منذ أن بدأت هذه الهجرات ولم تتحول هذه الدولة من حالتها التكنولوجية في الخمسينات الى حالة تكنولوجية أسمى وأرقى فكلما تكون جيل من القادرين على التحول جذبته العواصم الحضارية بمجالاتها المغناطيسية الرهيبة فولى وجهه شطرهاوخلف وراءه مؤسسات يتامى تضعف يوما بعد يوم .. وهذه في جوهرها قضية أخلاقية وتحتاج الى بحث ودراسة عميقين .

فليقارن الأخ القارىء بين هذين المثالين اللذين ضربناهما .

في مثال الولايات المتحدة الأمريكية يحدث فيض عبقرى عبر الحدود الى داخلها ليقوم هذا الجيل العابر للحدود بعملية الاثارة الحضارية حيث يحاول جيل المهاجرين اثبات ذاته بالعمل الشاق والجهد المعطى بلا حدود .. وبالطبع تقوم الحدود الأمريكية بغربلة الفيض الداخل اليها في مرحلة الهجرة المؤقتة ثم بعد ذلك تمنح جنسية دائمة .

وفي المثال الثاني رأينا العكس تماما حيث يحدث أيضا فيض عبقرى عبر الحدود ولكن للأسف الى خارجها حيث يبتلعه التيه الحضارى في العواصم الحضارية .

هذان مثالان من أقصى اليمين وأقصى الشمال .. فماذا في وضعنا نحن وما هو نوع الطاقة البشرية العابرة لحدودنا ؟.

نجد أن الحاجة الملحة لعالم الأشياء الذي أحاط بنا كما اسلفنا من قبل جعلتنا تحت ضغط الاستيراد المفتوح لكل الأنواع البشرية .. من استاذ الجامعة الى كناس الشارع .. ففي ميدان واحد كالتعليم الجامعي أو التعليم العالى افتتحنا ست جامعات في فترة لا تزيد كثيرا عن خمسة وعشرين عاما وكان لا بد لنا أن نستقدم لها كل العاملين بها من اساتذة ورجال ادارة وموظفين مكتبيين وكتاب آلة وفنيين وعمال .. هذا الفيض البشري الذي نستقدمه كل عام فيض غير مستقر يعبر حدودنا جيئة وذهابا .. تسيح لجان التعاقد في الأرض في أثره .. وتتأهب لجان انهاء التعاقد للتخلص منه .. ومبلغ العلم أننا لا نملك سياسة واضحة للاستبقاء حتى الآن كما أنه ليست لنا سياسة خاصة في المعاملة الخاصة فكل من كان أستاذا في أقصى الأرض أصبح عندنا استاذا فقواعدنا الوظيفية تشابه القواعد المعمول بها في بعض البلاد العربية التي تختلف ظروفها عن ظروفنا وليست كما هو الحال في بلد كأمريكا حيث يمكن أن تستقطب جامعة أستاذا للعمل بها وتعطيه ضعف مرتب أستاذ آخر ربما يكبره في التخرج بسنين .

وما دمنا نتحدث عن الجامعة كمثال يجدر بنا أن نشير الى أننا عندما بدأنا التعليم الجامعى في بلادنا كانت كل الكوادر مستقدمة عبر الحدود وكان الأمل أن توفر بعثاتنا العائدة من الخارج الكوادر الوطنية المطلوبة ولكن حجم التنمية الجامعية والسرعة المطلوبة لانجازها جعلتنا نزيد من حجم الطاقة البشرية المستقدمة للعمل بقطاع التعليم الجامعى بدلا من أن نقلل من حجمها حيث وجدنا أن العائدين من بعثاتهم تلتقطهم المواقع الكثيرة في ميادين التنمية المختلفة وفي الأفق يطل شبح الأعمال الخاصة حيث يتلألأ بذهبه يبهر العيون ويشد اليه كثيرا من العاملين في الميادين الجامعية الا من رحم ربك .. وانهم لقليل .

هذا مثل أوردناه عن التعليم الجامعي يتصل بصورة مباشرة بموضوع الطاقة البشرية المستقدمة ونستكمل الحديث بمناقشة التوازن بين المعامل الانتاجي والمعامل الاستهلاكي لهذه الطاقة .

ان المعامل الاستهلاكي لهذه الطاقة البشرية يتركز في الخدمات التي نقدمها أساسا لأسرهم من مدارس ومستشفيات ومراكز ترفيهية ومواصلات وما يؤثر ذلك كله على الأعباء التي تتحملها الدولة في سبيل حياة مناسبة لهم . ان هذه الخدمات بالنسبة للأسر لا عائد منها على الاطلاق بالنسبة لنا ـ فهذه الأسر سوف ترحل بعد انتهاء تعاقدها لتستقر في مكان آخر .

هذا الوضع يختلف عن الوضع في الولايات المتحدة الأمريكية حيث أن أى خدمات تقدمها الدولة للمهاجرين اليها سوف يتجه أخيرا لخدماتها .. فهذه الأسر ذهبت للاستقرار الدائم هناك .. ان لم يكن جميعها فمعظمها هذا الوضع الذي يخدم الولايات المتحدة غير قائم عندنا .. فكما اسلفنا معظم المستقدمين في دولتنا يعملون معنا الى حين .. وكلما زاد حجم اسرهم زاد معاملهم الاستهلاكى الى درجة يمكن ان يربو على معاملهم الانتاجى .

وبالطبع يكون هذا واضحا كل الوضوح عندما تكون نوعية المستقدمين من النوعيات الدنيا التي استقدمت للقيام بأعمال بسيطة مثل كنس الشوارع وحمل الأثقال والعمالة في محلات البيع والشراء أو بعض الوظائف الدنيا مثل الكتبة وغيرهم .. في هذه الأحوال تصبح الإنتاجية لهذه الأنواع ضئيلة للغاية يصعب معها أن تستقدم الدولة مع العائل اسرته . بينما يمكن أن نستقدم شخصا أو مجموعة نرى أن انتاجيتها مطلوبة للغاية وهى انتاجية من نوع راق تحتاج الى خبرات خاصة في مثل هذه الأحوال يمكن لرصيد الخبرة المستقدمة أن يربو على معاملها الاستهلاكى .. فلا ضير في هذه الاحوال أن تقدم الدولة لأسرة العائل الخدمات المطلوبة

ولقد خطت الدولة في هذا الاتجاه خطوة موفقة حيث حددت فئات الحاجة الى خدماتها عالية وسمحت لها باصطحاب أسرها وحددت فئات أخرى منعتها من اصطحاب الأسر .. وهى خطوة جيدة في ظل الضوابط التي وضعتها الدولة لسياستها . ولكننا نحب أن نلفت النظر الى قضية الفعالية لهؤلاء المستقدمين وهى تدخل في المعامل الانتاجى لها . فان الاسترخاء الأسرى لهؤلاء العاملين في بيوتهم عندما يصطحبون اسرهم يعطيهم راحة نفسية يستقبلون بها عملهم اليومى كل صباح .

فان غياب الأسرة يسبب توترا عصبيا من نوع خاص لا يذهب به الا وجود الأسرة والأولاد لمن لهم أسر وأولاد ونحن لا نتكلم من فراغ فهذه حقيقة شاهدناها كثيرا فيمن حولنا من اخوتنا المستقدمين الذين تركوا اسرهم خلفهم في بلادهم .. كما أن للقضية بعدا حضاريا نتحدث عنه بعد قليل .

وعلى كل حال فهذا كله لا بد أن يدخل في حساباتنا ونحن نقوم المعامل الانتاجى والمعامل الاستهلاكى للقـوة البشريـة المستقدمة فكل هذه العوامل في منتهى الأهمية وأهمالها قد يخفق أهدافنا فنظلم أنفسنا ونظلم غيرنا .

التفاعل الحضارى بين الطاقة البشرية المستقدمة والمجتمع السعودي :

لقد ضربنا من قبل مثلا بالمجتمع الأمريكي والهجرة الداخلة اليه عبر حدوده والتي تمثل اضافة دائمة لهذا المجتمع . هذه الاضافة يلتهمها الطاغوت الاجتماعى ـ ان جازت التسمية ـ في أمريكا فتذوب اذابة كاملة في فترة وجيزة جدا . وربما يحاول بعض المهاجرين التماسك والتقوقع أمام اعصار المجتمع العاصف ولكن

الحضارة الغالبة تتسرب من الزوايا النفسية للمهاجر فيجد نفسه في نهاية المطاف انسانا امريكيا عاديا أما أولاده وذريته فانهم سوف يذوبون دون مقاومة تذكر فهم لا يعرفون لأنفسهم مجتمعا غير هذا المجتمع الجديد .

ان العبرة من هذا المثال هو أن فئة قليلة من المهاجرين الذين يلوذون بمجتمع في أوج تقدمه وازدهاره لا يمكنهم أن يحدثوا به أثرا كبيرا يغير ملامحه ولكن العكس هو الصحيح .. فالمجتمع المتقدم المزدهر القوى هو الذي يحدث الأثر الذي سوف ينسى هؤلاء القادمين ذاكرتهم الحضارية رويدا رويدا عبر الذرية المهاجرة حتى يحدث الذوبان التام .

أما في مجتمع كمجتمعنا السعودي فهناك اعتبارات تحتاج الى تأمل فالمجتمع السعودي ليس مجتمعا متقدما بالمعنى المتعارف عليه للتقدم وانما هو مجتمع ينمو بأمل ويتطور برغبة ويسعى الى الحفاظ على خصائصه وقيمه الصالحة . والمستقدمون للعمل في مجتمعنا جاءونا من مجتمعات تختلف مقوماتها وهياكلها عن هيكل مجتمعنا ، كذلك فان الأعداد التي نستقدمها مقارنة بنسبة أعداد السكان الأصليين والذين يكونون بأصالة مجتمعنا تعتبر أعدادا كبيرة بحيث يمكن أن يكون التأثير السلوكى لهذه القوى البشرية القادمة عظيما . فهؤلاء المستقدمون يختلطون بنا ونختلط بهم .. تلتقى اسرنا بأسرهم .. ويلتقى أولادنا بأولادهم .. فنحن لسنا بمعزل عنهم وهم ليسوا بمعزل عنا .

ومن وراء ذلك كله يبرز وجود القابلية للتأثر بهم للشعور بأنهم جاءوا من مجتمعات متقدمة مزدهرة . اذا فمشكلتنا مع القوة البشرية المستقدمة ليست فقط قضية خدمات نقدمها لهم يمكن أن نقللها بوضع قيود على استقدام العائلات ولكن هناك مشكلة أخرى هى مشكلة التفاعل الحضاري مع هذه القوة المستقدمة . فنحن

نريد أن يكون هذا التفاعل لصالح مجتمعنا .. فنحن لسنا ضد التفاعل ولكننا نريده تفاعلا واضحا مفهوما بناء وان ندرك أبعاده وماذا نريد منه . فليتصور القارىء مثلا وجود عشرات الالآف من العمال والشبان يعملون في مدننا .. ان وجود هذه الالآف المؤلفة من شباب العالم بكافة الميول والأهواء يفرض تساؤلا عن كيف سترفه عن نفسها وأين ؟

ولنذكر أن هناك وسائل للترفيه تعود عليها كثير من القادمين ليست متوفرة في بلادنا اما لأنها تتنافى مع عقيدتنا أو لأننا لم نكن نعرفها من قبل وبعضها مدمر لحياتنا الاجتماعية ولا نسمح به وبعضها برىء ولكننا لم نتعود عليه .

فالشباب الوافد من الغرب مثلا والذي تعود في بلاده على حفلات نهاية الأسبوع المختلطة والتي تجرع فيها الكؤوس ويرقص فيها الراقصون على أنغام الموسيقى .. هذا الشباب سوف يحرص على مثل هذه الحفلات في بلادنا لأنها جزء لا يتجزأ من حياته ولسوف تستهوى مثل هذه الحفلات بعض شبابنا وأسرنا فيشتركون فيها ويقع المحظور .. وقد يحدث هذا ولكن ربما في أضيق الحدود مخافة السلطان وهذا من فضل الله حتى لا يؤثر في الأعداد الكبيرة التي تبحث عن وسائل للترفيه .

« في التنمية العلمية والتكنولوجية »

كان صاحبى يمثل لونا من ألوان الثقافة بيننا معشر المشتغلين بالعلوم والهندسة .. ولكنني كنت أشعر دائما أنه يكتم ثقافته حتى أنني ظننت أنه كأنما يكتمها على نفسه ولا يستطيع مواجهة صريحة مع الذات .. ربما كان ذلك مخافة أن تهزمه التناقضات الفكرية التي يعج بها صدره .. فرضى أن تظل خفية على الناس وعلى نفسه .. لا يبوح بها لأحد ولا يكثر فيها الفكر مع نفسه .. وكان مثلنا قد تعرض لألوان شتى من الثقافات والمجتمعات والتقى في رحلته العلمية في خارج الوطن بأشكال من المثقفين والمتثيقفين ومحترف الأحزاب ومهرجى السياسة والفكر في مهرجان المجتمع العربي الكبير .

وكان صاحبى من النوع الذي كدس الأفكار في داخله ورتبها بجوار بعضها البعض وجعل بينها سدودا فلا يسمح لها بالصراع ولا حتى باللقاء فبقى كل شيء مجمدا في نفسه .. وأصبح هو نفسه ألوانا من المثقفين .. فأحيانا تظنه هذا اللون من الفكر ثم تظنه مرة أخرى لونا مخالفا تماما ولم يكن ذلك نفاقا منه ولا محاولة للنفاق ولكنك ربما استطعت ان تسميه ما شئت من امراض المواجهة الحضارية ما اكتشف منها وما لم يكتشف بعد .

وكنت مع صاحبى في سفر قاصد لاحدى بلاد الغرب .. وكنت حريصا أن أقرأ من تعبيره الصامت البادى في عينيه بعض مجاهيل ثقافته .. وكأنني لاحظت أن صاحبي قد انتقل فجأة من حالة انعدام الوزن الى حالة انبهار . وكان هذا الانبهار يميز كل تصرفاته في رحلتنا بين مؤسسات الغرب .

وفي مساء يوم لا أنساه ـ كنت وصاحبى نتناول طعام العشاء ونتبادل حديثنا هادئا عن الحياة الغربيـة والمجتمـع والمؤسسات في ديار الغرب ـ فسألني صاحبي .. ماذا تظن أسباب تأخرنا الحضاري .. ألا تعتقد أنه الدين ؟ .. لقد سأل صاحبي وأجاب .. وأفصح عن جانب من جوانب حيرته الثقافية .. ووجدت الفرصة سانحة لحوار معه عن أشياء كثيرة .. أوجزها هنا في حديث عن التنمية العلمية والتكنولوجية وتتكون عناصره من :

- الفكر الديني والدين .
- موقف الدين من العلم والتكنولوجيا .
- موقف الفكر الديني من العلم والتكنولوجيا .

قلت لصاحبى مستوضحا .. لعلك عنيت الفكر الديني وليس الدين .. فقال وما الفرق بينهما .. أليس هذا نتاج ذاك ؟ قلت هذه قضية تحتاج الى ايضاح وأعتقد أن حسمها الآن سيغنينا عن كثير من الجدل العقيم في المستقبل .
فالدين قد اكتمل في لحظة تنزل الوحى مخاطبا أمة الاسلام :
« اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليـكم نعمتـى ورضيت لكم الاسلام دينا .»

فالدين اذن هو كل ما تنزل به الوحى على نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه .. أى أن الدين هو أمر بين اثنين :
القرآن الكريم والسنة الموحى بها
أما الفكر الديني فهو كل المحاولات العقلية للمسلمين لايجاد نظم تنظم حياتهم منبثقة من الكتاب والسنة أى منبثقة من الدين .
فالفكر الديني يمثل التراث بينما الدين لا يمثل تراثا وانما يمثل رسالة حية لكل جيل .. ويحضرني هنا ما قاله اقبال مفكر الباكستان العظيم :

« قال لي ابي إقرأ القرآن كأنما ينزل عليك »

فكل مسلم في كل جيل لا بد أن يستقبل القرآن استقبال تنزيل .. ولا بد أن يرهف سمعه ويحد بصيرته في عملية التلقى القرآنى والتي سوف تعد هذا الانسان المسلم ليشارك في صنع الحضارة .

فالدين ـ وليس الفكر الديني التراثى ـ هو الذي عناه مالك ابن نبى في معادلته الحضارية المشهورة :

(انسان + تراب + زمن $\xleftarrow{\text{الدين كعامل مساعد}}$ حضارة)

فدور الدين هو دور العامل المساعد في اكمال التفاعل الحضارى بين الانسان والتراب والزمن .

أما الفكر الذي تراكم لدى جيلنا من أجيال مسلمة سبقتنا فموقفنا منه ليس موقف التلقى وانما موقفنا منه هو موقف الباحث الأمين في دروبه نأخذ منه وندع .. وعلى كل حال فنحن أحرار في النظر في دروبه أو أن نجتهد لأنفسنا من نفس النبع الذي اجتهدوا منه . ضاربين عرض الحائط بكل ما يقال حول تقديس التراث الذي لا يرتكز على الكتاب والسنة .

هذا باختصار شديد ما نعنيه عندما نتحدث عن الفرق بين الدين والفكر الديني .

قال صاحبي :

« لقد أوضحت كثيرا من الأمور المختلطة في رأسى وأظنني لا أختلف معك في شيء مما قلت وأظن أن تقديسنا للفكر الذي ينطلق من الكتاب والسنة هو أحد أسباب تأخرنا . وأظن أن الغالبية العظمى من المسلمين لا تعرف هذا الفرق الهام بين الدين والفكر الديني التراثى .. صحيح ان كثيرا من المسلمين بدأ لا يهتم ببعض المقولات التي تتعرض لمواضيع علمية والتي نقلتها لنا كتب التراث في عصور الأنحطاط ولكن الغالبية العظمى ما زالت تقف أمام كثير من الأمور الأخرى والمتعلقة بمواضيع شتى تتركز في السياسة والاجتماع والأقتصاد موقف الحائر المتردد .»

قلت لصاحبي : صدقت .. وهذا الموضوع الأخير بالذات جدير بأن تنفرد له بحوث وبحوث ولكنك مقتنع معى الآن أن الكثرة الغالبة في ديار الاسلام ما عادت تقتصر في استقاء معلوماتها العلمية على كتب التراث فقط بل بدأت مسيرتها العلمية بالحقيقة التالية :

في ميدان العلوم التجريدية .. أى التي لا تقوم على عقائد تعتبر ما وصلت اليه الحضارة الغربية الآن امتدادا طبيعيا لما حققته الحضارة التي قامت في ديار المسلمين والتي هى أيضا امتدادا للحضارات القديمة التي قامت في عصور سبقت ظهور الاسلام وبين أمم أخرى .

فعلم الميكانيكا مثلا والذي يهتم بحركة الأجسام وسكونها علم يقوم على التجربة وأحيانا على غيبية لا يمكن برهانها ذاتها ولكن ما يترتب عليها من آثار يمكن التحقق من صحته عن طريق التجربة المباشرة .. مثل هذا العلم لا يقوم على عقائد تتعلق بالعلاقة بين الانسان وربه أو الانسان وأخيه الانسان ومن ثم فهى بالنسبة للمسلم المعاصر لا تتحمل أى نقاش وليس بينها وبين المناخ الفكرى للمسلم أى تعارض أو تناقض ومن ثم فالواجب تقبلها بدون أى حساسية وكل نقاش قرأناه في هذا المجال يعتبر مضيعة للوقت وتبديد للجهد .

فالذين يريدون أن يعرفوا علم الفلك من بعض كتب التراث يضيعون أوقاتهم ومن ثم فهم في اعتقادنا يرتكبون اثما لأن وقتهم ليس ملكا لهم وانما هو ملك لأمتهم فعلم الفلك الآن قد تقدم تقدما عظيما يحتاج الى متخصص يفنى فيه عمره تعلما وبحثا . وبالطبع لن نلتفت للبعض الذي يريد أن يتبنى بعض علوم عصور الانحطاط كعقائد يكفر من لا يؤمن بها .. فالزمن وحده كفيل أن يصحح أفكار هؤلاء .. ونحسب أن أطفال المسلمين اليوم يدركون خسة الأفكار التي ظهرت في عصور الانحطاط حول الأرض وما يحملها والزلازل

ـ وأسبابها وسيل الأسرائيليات الذي حشيت به كتب ورؤوس .. كل هذا لن نلتفت اليه لأن التعليم وحده كفيل أن يجعل أجيالنا المقبلة تنظر الى كل هذه الأمور ككوابيس أزعجت نومنا الطويل .

وعلى كل حال فان مثل هذه العلوم ليست في برامج أى جامعة عصرية في ديار الاسلام وأن الجامعات المتخصصة حصرت نفسها ـ فيما يخص التراث ـ في تعليم ما أصطلح على تسميته في الغرب بالانسانيات .. وهى وان كانت تقدم هذه العلوم الانسانية من وجهة نظر تراثية للتفاعل مع المجتمع فان عليها واجب تطوير مناهج الانسانيات بها لزيادة هذا التفاعل ولكى تصبح هذه المناهج متصلة اتصالا مباشرا بالمجتمع وواقع العصر الذي نعيشه .

قال صاحبى : وكأنما انزاح عن صدره كابوس عظيم ـ معلقا على حديثى :

« يعلم الله أن أفكارك هذه كانت تراودني .. ربما لم تكن بهذا الوضوح ولكنها كانت تملأ على رأسي .. وكنت أخفيها عن الناس مخافة أن أتهم في ديني .. ويعلم الله كذلك أنني لا أشرك به أحدا .. ولا أعدل بلايمان به شيئا .. وأن حديثك هذا زادني طمأنينة وأنه يمكننى أن تكون لى هذه الأفكار وأظل مؤمنا والحمد لله .. ثم قال ولكن ما زال في صدرى سؤال وهو موقف الدين والفكر الديني من العلم والتكنولوجيا .»

قلت :

« لا أظن أن هناك عقيدة أو دينا دفع معتنقيه للعلم والعمل مثلما فعل الاسلام . فالاسلام الذي ينهى اتباعه عن التكاثر يأمرهم بالاستزادة في أمر واحد ألا وهو العلم

(وقل ربى زدني علما) .

ويرشدهم الى أن وسائل اكتساب هذا العلم هى الحواس التي أعطاها الله لهذا الانسان من سمع وبصر وفكر يأمزهم ألا يتبعوا ما لم يأتهم من غير هذا الطريق فيقول الله سبحانه وتعالى في محكم التنزيل :

(ولا تقف ما ليس لك به علم . ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا)

وفي سورة فاطر وبعد عرض رائع وجميل لبعض ظواهر الطبيعة المحيطة بالانسان يؤكد القرآن الكريم بعد هذا مباشرة بأن ايحاءات هذه الطبيعة الخلابة تترك قلوب العالمين بها في خشية من مبدع هذه الطبيعة .

(انما يخشى الله من عباده العلماء)

وهذا يجعلنا ندرك أن الله سبحانه وتعالى حصر الخشية في العلماء الذين يصفهم ابن رشد بأنهم العالمون بأسرار الوجود وأسرار الخلق لأن الآية وردت في سياق التدليل على قدرة الخالق في تنزيل المطر وخلق النباتات والجبال والحيوانات على اختلاف أنواعها وألوانها .
والقرآن الكريم يعظ آل داوود :

« اعملوا آل داود شكرا .. وقليل من عبادى الشكور»
فشكرالمولى جلت قدرته في الاسلام يتم بالعمل .. والقرآن يحثنا دائما على النظر في ملكوت السموات والأرض وفي عوالمنا الخاصة .

ويضرب لنا الأمثال من عوالم الطير والدواب والجماد من حولنا ويؤكد أن النظر المستبصر في كل هذه العوالم يقود أولى الألباب للايمان .

والتأملات القرآنية هى الركيزة الأولى للمناخ الفكرى الاسلامى في كل المجالات بما في ذلك مجال التقدم العلمى والتكنولوجى الذي يعتمد أساسا على : ـ

(المشاهدة والتجربة)

والمشاهدة :

هى استخدام الانسان لحواسه وما وهبه الله من عقل وبصيرة .

أما التجربة :

فهى استخدام حقائق معروفة للوصول الى حقائق مجهولة .

لقد حث القرآن الكريم في مواضع كثيرة على استخدام الظاهرة الكونية والمشاهدة بعد أن أكد حقيقة أن الله قد سخر الكائنات للانسان بقوله سبحانه وتعالى :

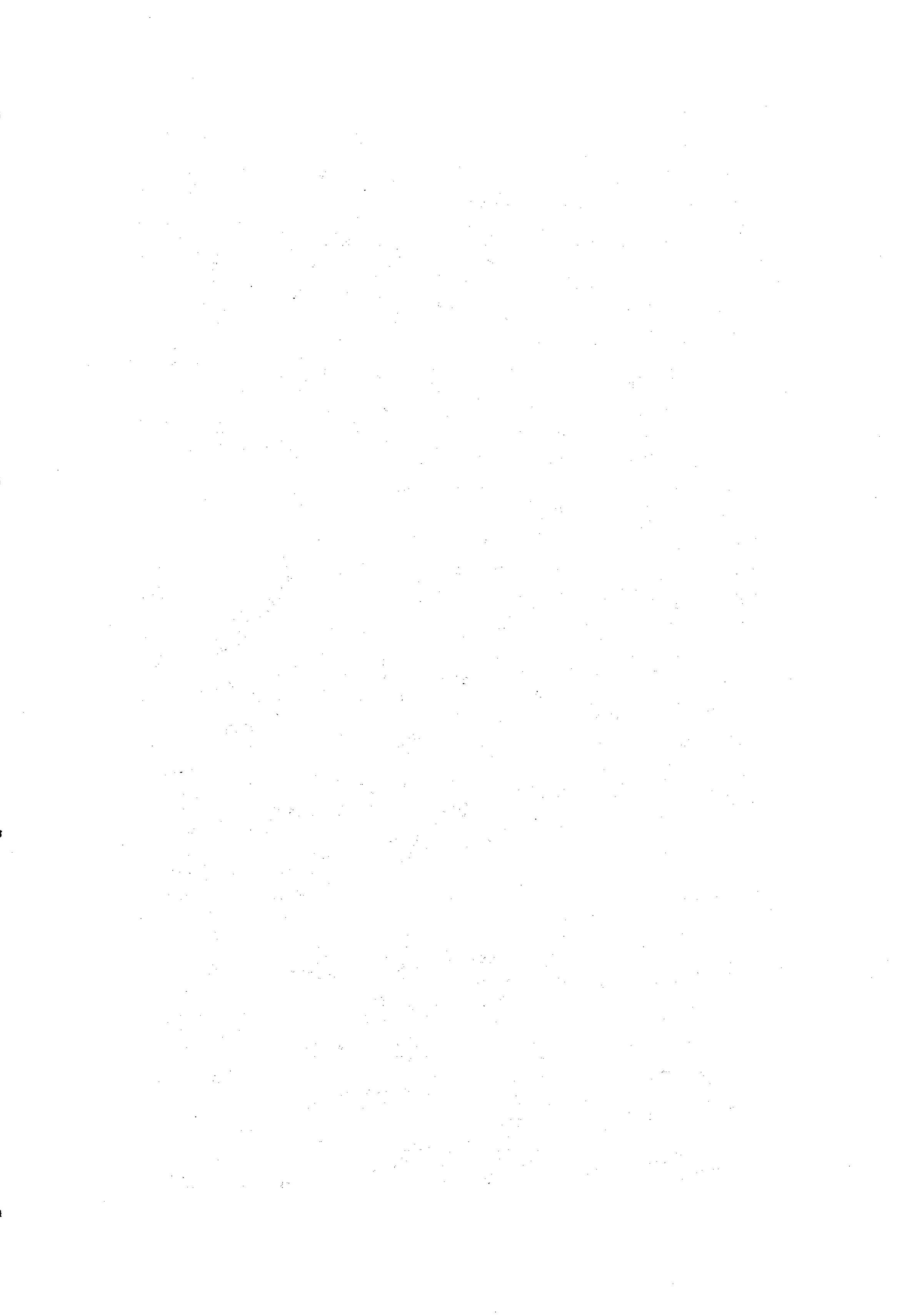
(وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منــــه)
وفي آية اخرى يقول جلت قدرته :

(ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمة ظاهرة وباطنة)

قلت لصاحبي :

« ألا ترى معى أن التبصر والتأمل والتفكر في ملكوت الله ومخلوقاته يدعو الى الايمان وهو علم عملى او قل هو عمل علمى وأن الايمان يدعو الى الاحسان وهو اتقان كل شيء في الظاهر والباطن . »

قلت ذلك لصاحبي وقد بدت عليه بشائر الراحة النفسية والاطمئنان وحمدت الله على ذلك .



« مشكلات التنمية العلمية والتكنولوجية »

ربما يحسن بى وأنا أحاول أن أجد الكلمات المناسبة التي أستنفر بها قومى لاعادة النظر في كل خططنا العلمية والتكنولوجية أن أستهل الحديث كله ببضع كلمات من مقال للعالم المكسيكى م س واينزيك نشره في مجلة العلم في مايو ١٩٧٧م حيث يقول :

« لقد مضى أكثر من عامين على قرار الأمم المتحدة بعقد مؤتمر العلم والتكنولوجيا من أجل التنمية في عام ١٩٧٩م وبقى الآن ما يقل عن عامين حتى يصبح هذا المؤتمر حقيقة ماثلة .. وما زال فهمنا للعلاقات بين العلم والتكنولوجيا من جهة والتنمية من جهة أخرى في دول العالم الثالث ضعيفا للغاية ... فالموقف السائد في الدول المتقدمة حيال تنشئة العلوم والتكنولوجيا من أجل التنمية في الدول النامية هو انشاء مؤسسات عصرية علمية ونقل تكنولوجيا عصرية اليهم مفضلين طريق القطاعات الخاصة وليس بالضرورة عن طريق حكومى .

ومن وجهة نظر أخرى يرى كثير من المتحدثين باسم العالم النامى أن مشكلة العلم والتكنولوجيا من أجل التنمية تتمثل في ازالة العوائق الدولية التي تعوق حصول الدول النامية على الثمرات العلمية والتكنولوجية للعالم المتقدم .

ونظن أنه أمر بالغ الشك أن كلا الموقفين ــ موقف الدول المتقدمة وموقف الدول النامية ــ سوف يقدم حلا للدول النامية . ان المعاهد العلمية والنقل المكثف وتمزيق العوائق لسريان المعرفة لن يحققوا المهمة المطلوبة .. ذلك لأن قدرة

الأمم النامية لامتصاص واستخدام المعرفة العلمية والفنية بطريقة مفيدة ضعيفة للغاية .

ان الذي تحتاجه الدول النامية حاجة ماسة هو بناء قدراتها العلمية والتكنولوجية الذاتية . وتحقيق مثل هذا الهدف سوف يعتمد على مجهود طويل المدى متكاملا بين جهات وطنية وعالمية أكثر من اعتماده على حلول جزئية تحدها اختيارات مذهبية او تفكير خيالى « .

ويقول دكتور م . س واينزيك في بحث آخر ألقاه في مؤتمر بوجواش السابع والعشرين (ميونيخ ــ المانيا ــ ٢٤ / ٢٩ أغسطس ١٩٧٧م) .

« لو أراد مجتمع أن يكون لديه علم وتكنولوجيا ذات فائدة اجتماعية ولو اراد أن يستخدم المعرفة التي حصل عليها في تحقيق مطالبه واحتياجاته فانه يتعين عليه أن تكون لديه القدرة أن يتعرف على احتياجاته بوضوح تام .

فاذا ما وضحت هذه الاحتياجات من داخل المجتمع لامن خارجه فان على هذا المجتمع أن يقوم بعمل ضخم ومتشعب من اجل تحسين نوعية الثروة البشرية واقامة مؤسسات تعليمية وتطوير رجال الادارة سواء في الميدان الحكومى او في غيره » .

من هذا يبدو واضحا أن مشكلة تنظيم العلم والتكنولوجيا من أجل التنمية ليست مشكلة نقص المال او توفره وبناء مؤسسات تعليمية كيفما اتفق أو مساعدات خارجية وانما هى مشكلة التحول الاجتماعى الذي يتطلب جهودا وطنية مستميته تؤتى أكلها في المدى الطويل .

ونستطرد مع الدكتور واينزيك في بحثه القيم لنجده يقول :

« ان مهمة بناء العلم والتكنولوجيا من أجل التنمية مهمة مزدوجة الصعوبة .

فالصعوبة الأولى أن التخلف العلمى والتكنولوجـى الراهن في الأمم النامية أكثر من التخلف الذي كانت تعانى

منه أمم دخلت حديثا في مجال التقدم العلمى والتكنولوجى ونعنى بها الدول الاشتراكية قبل أن تصبح اشتراكية . فبعكس المعتقد السائد ـ اما بسبب الجهل أو بسبب التعصب فان الاتحاد السوفيتي قبل ١٩١٧م وبولاندا والمجر قبل ١٩٤٥م والصين قبل ١٩٤٨م كانت دولا متقدمة بكل معنى التقدم ويشمل ذلك التقدم العلمى والتكنولوجى مقارنة بمعظم دول امريكا اللاتينية وافريقيا وآسيا اليوم .. ان مثقفى هذه الشعوب كانوا يتمتعون قبل التحول الاشتراكى بعرف وثقافة علمية وتكنولوجية ـ وهما مكونان اساسيان للتقدم العلمى والتكنولوجى ـ لا توجدان الآن في معظم الدول النامية » .

ومعذرة للاخ القارىء لهذا الاستطراد الطويل مع الدكتور واينزيك ذلك أننا فعلنا هذا لنؤكد عدة أمور :

الأمر الأول ـ

أن التنمية العلمية والتكنولوجية تتطلب جهودا ضخمة من الأمة ككل .. فالعلم والتكنولوجيا لا ينتقلان بانتقال الكتب والآلات .. ما دام الجسم الاجتماعى للأمة غير مستعد لتقبلهما كما يرفض الجسم تقبل الدواء بلغة أهل الطب وما دامت قابلية الأمة للتقدم ضعيفة للغاية ..

الأمر الثاني ـ

أن هذه القابلية للتقدم تتشكل من خلال النشاط البشري في الأمة ككل وتتأثر تأثرا كبيرا بكل نظمها الحياتية

الأمر الثالث ـ

ان استنبات العلم والتكنولوجيا في مجتمع ما ليس مسألة روتينية معروفة يجدها طالبها في بطون الكتب ولكنها تتصل بالمكونات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية

للأمة . لذلك يجب أن ينصرف لعملية الاستنبات هذه أولو بقية وأولو عزم من المشتغلين بالتخطيط العلمي والتكنولوجي وان يزداد تكوين طبقات من العلماء والأخصائيين ليتفرغوا لمهمة الاستنبات هذه .

لقد كانت كل هذه الأمور في أذهاننا عندما دعونا علماء مسلمين من كافة أنحاء العالم للمشاركة في مؤتمر العلم والتكنولوجيا الذي عقد في جامعة الرياض عام ١٣٩٦هـ والذي دارت فكرته الأساسية حول وقع المؤسسات العلمية والصناعية في العالم الاسلامي المشتغلة بالعلوم أو البحوث وتلخص الهدف من المؤتمر في القيام بمحاولة لدراسة زمنية لهذه المؤسسات لاكتشاف بعض القوانين التي تحكم نموها ثم الاستفادة من تجارب الآخرين في هذا المجال لتفادى الأخطاء وتصحيح الاتجاه وتوطيد قواعد التعاون في المستقبل فيما بين البلدان الاسلامية .

ولقد كانت الصعوبة التي وجدناها مع معظم الذين حضروا المؤتمر من علماء العالم الاسلامي هى اقناعهم بالأهتمام بالأسئلة التي حواها كتيب المؤتمر والتي تتعلق أساسا بالمشكلة الحضارية للعلم والتكنولوجيا والتي تكاد تتشابه في معظم ديار الاسلام .

فمثلا يستجيب عالم من خيرة علمائنا في الغرب لدعوتنا له بالمشاركة في المؤتمر ببحث عن السيارة الكهربائية .. وعندما راجعناه بأن المؤتمر لا يعنى بجزئيات علمية وتكنولوجية وانما يعنى بالتخطيط الكلى والدراسات الشاملة لتفاعل العلم والتكنولوجيا والمجتمع وجدنا أن هذه الأسئلة غائبة عن ذهنه تماما .

وعالم آخر اشترك ببحث آخر عن الاستشعار عن بعد .. وآخرون وآخرون ظللنا نتحدث معهم ونتناقش ونتحاور داخل قاعات المؤتمر وخارجها .. مما جعلنا نشعر في نهاية المؤتمر أن أهم انجازاته هو اثارة الأهتمام بمشكلة التفاعل بين العلم والتكنولوجيا

والمجتمع والتي نظن أننا نجحنا نجاحا جزئيا في جعلها احدى قضايا فقهنا المعاصر .

وحسبنا هنا أن نكون قد أكدنا بعض المعانى التي حرصنا على تأكيدها عند كل مشتغل بالتخطيط العلمى والتكنولوجى وعند عامة الناس حتى لا يظنوا أن العلم والتكنولوجيا سلعة يحملها لهم أى تاجر من هنا أو هناك .. حسبنا أن نؤكد لهم أن الحالة العلمية والتكنولوجية مرتبطة ارتباطا وثيقا بنظم حياتهم .. وأن الأمر يحتاج الى مجاهدة عظيمة وجهاد كبير .



« التنمية ... قضية »

... قضية التنمية في وطني يجب أن تدعو كل ذى فكر أن يساهم بفكرة وكل ذى رأى أن يدلو بدلوه والمواطنة المخلصة تحث المفكر أن يعبر عن تأملاته وأفكاره التي تدور حول قضية التنمية في وطنه ليدفع بها ـ كمشاركة بالقلم ـ لبنى وطنه من المثقفين خاصة لعلهم يجدون فيها ما يثير اهتمامهم لمواصلة البحث عن الأفضل .

... يدفع بها وهو يلتفت حوله ليجد وطنه يمر بمرحلة هامة لبناء مستقبل الأجيال القادمة .

... يدفع بها وهو يرى وطنه (ورشة عمل) استقطبت القاصى والداني من شتى بقاع الدنيا .

... يدفع بها وهو يلتمس مجتمعه وهو يتجه نحو تحولات اجتماعية واقتصادية أساسية تحتاج الى تعمق الدارسين وبحث المتخصصين .

... يدفع بها وهو يرقب عن كثب كمواطن أرقاما فلكية ترصد لتنفق على مشاريع ضخمة وعديدة في جميع المجالات .

... يدفع بها وهو يتطلع الى غد مشرق ينتظر وطنه .. غد مشرق من حضارة راسخة الأركان نابعة من الذات منطلقة من عقيدة هذا الوطن وايمان مواطنيه ومرتكزة على قيمه ومبادئه ومؤكدة لأصالته وشخصيته .

... يدفع بها وهو يشعر ـ كمواطن ـ بمسئوليته في تقديم ما يعتقده وايضاح ما يراه حول قضية التنمية .

ان التأملات والأفكار الناضجة والمخلصة تظل حبيسة في الصدر ومعتلجة في النفس وتدور في العقل فترة من الزمن وتبقى في الذهن تختمر وتتضح ، وصاحبها ينظر ويتأمل ويقرأ ويفكر . وعندما تحين اللحظة المناسبة يجد نفسه وقد دفع بها لقرائه دون أن يدعى لها الكمال أو الشمول ولا أن يدعى لها بالضرورة الصواب أو الاعتصام من الخطأ . ولكنه وبكل تأكيد يستطيع أن يجزم بأنها نابعة من القلب ومنطلقة من العقل بدافع الاخلاص والولاء للوطن .

ان قضية التنمية في وطنى هى ـ كما وجب لها أن تكون ـ الشغل الشاغل لكل مفكر مخلص من أبنائه واذا كانت حياة الأمم لا تقاس بالسنين ولكن بالمنجزات الحضارية التي تحققها هذه الأمم فان امتى تسعى بجهد أبنائها لبناء نهضة قيمة تستعيد بها مجد الأسلاف يوم كانوا قادة فكر ورواد حضارة وفي مسيرتنا التنموية وما نقطعه معها من أشواط ما يستوجب وقفة موضوعية بين الحين والحين لاستعراض ما انجزناه وتقييم ما حققناه والتعرف على مواطن الصواب وأماكن الزلل ونقاط القوة ومواقع الضعف لنزداد تصميما وليتضاعف حرصنا على مواصلة المسيرة بالحد الأدني من الأخطاء .

اننا وقد بدأ مشوارنا التنموى لا نملك أن نتراجع أو نلتفت الى الوراء ولكننا وبكل تأكيد نستطيع أن نتابع ما خططنا له وما أنجز منه بعين فاحصة وفكر أعمق لنتصدى بالرصد والتحليل لنتائج وانعكاسات ما نسعى للحصول عليه من تطور ونماء على المجتمع ولنعرف من واقع ما أنجزنا التغيرات والتحولات ونضمن وضعها في الاطار الشامل للقيم الاجتماعية الصحيحة والصالحة ولنستدرك ومنذ البدء ما لو تركناه لا ستفحل واستشرى وانتشر ..

والانسان في مشوارنا التنموى له مكانة وعليه واجبات واذا كانت التنمية تتجه اليه وهذا شيء طبيعى على أى حال فان من المفروض أن تصاغ مناهجها وتوضع خططها لكى توجد منه انسانا سويا ومتوزانا بكل ما تحمل هذه الكلمة من معانى واذا كانت التنمية تنطلق منه ـ أى الانسان ـ فان من الواجب أن تشحذ فعاليته وتقوى عزائمه وتعبأ طاقاته ليؤدي دوره ويقوم بواجباته فانسان التنمية يختلف في متطلبات حياته وفي حوافز نشاطه ومنطلقات طاقته عن الانسان المتطور الذي بلغ بمجتمعه الى قمة الحضارة وبلغ به مجتمعه الى شموخ التحضر لأننا نجد انسان التنمية يعاني بالطبع من قصور ملموس في الخدمات الأساسية في الوقت الذي يطلب منه فيه أن يعمل بجد وجهد فائقين لتحقيق خطط التنمية التي ان تحققت بجده وجهده فسوف توفر له ما هو أكثر من الخدمات الأساسية وما هو أبعد من ضروريات الحياة هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فان واجب انسان التنمية المسلم السوى أن يبتعد عن كل ما يمس قيم مجتمعه الصالحة من تصرفات وعادات لها ما لها من بريق الحضارة وانبهار التقدم ليبعد بذلك عن مجتمعه ما قد يقوض أركانه ويهز جذوره فيعيش مجتمعنا المسلم معافى من امراض الحضارة سليما من خبائثها وشرورها والعاقل من اتعظ بغيره .

ونحن أمة لها تراث قوى الأصول وتاريخ عميق الجذور ننطلق في فكرنا من عقيدتنا وايماننا ، ومقومات هذه العقيدة وذلك الايمان هما القرآن الكريم والسنة الموحى بها . لذا فاننا عندما بدأنا مشوارنا التنموى ركزنا قواعده على هذه المقومات ويجب أن لا نحيد عن ذلك أو نزيغ أو نضل مهما كان الثمن وكانت المغريات وعلينا أن نكمل المشوار ونحن أقوى مما بدأنا ايمانا والتصاقا بمقومات عقيدتنا وسوف نجد أنفسنا عندئذ وقد أقمنا حضارة لا

قشور حضارة .. وأنشأنا صناعة لا أشباه صناعة وارتقينا بمجتمعنا الى ما تدعو اليه قيمنا الخيرة .

ان التحدى الحضاري الذي يواجهنا في مرحلة انطلاقنا لنعيش عصرنا يكمن أساسا في التزامنا بعقيدتنا وثباتنا على مبادئنا وتمسكنا بأصالتنا واعتزازنا بشخصيتنا . ولن يكون الأمر سهلا وميسورا والعالم من حولنا يعيش في دوامات فكرية وبريق حضاري زائف ولنعلم تمام العلم اننا ونحن نواجه هذا التحدى الحضاري لن نترك وشأننا لأن هناك من يتمنى فشلنا ويترصد أخطاءنا ويستبشر بانتكاسنا فلنحذره ولنفوت عليه الفرص بثباتنا على مبادئنا وتمسكنا بأصالتنا واعتزازنا بشخصيتنا . واذا كان هذا هو جوهر التحدى الحضاري الذي نواجهه فان عناصر هذا التحدى في اعتقادنا هى :

- القدرة على شحذ الفعالية الروحية للأمة .
- والقدرة على استيعاب حضارة العصر استيعابا كاملا .
- والقدرة على تبنى اساليب الحضارة المعاصرة أو ابداع البدائل .
- والقدرة على حماية المنجزات الحضارية للأمة .

وكل هذه القدرات تستوجب التوقف والتعمق وتحتاج الى بحث منفرد بذاته أرجو أن أتمكن من انجازه في وقت لاحق ، ولكنني أقول الآن وباختصار شديد أن قافلة التنمية في وطني تقف على مفترق طريقين لا ثالث لهما طريق التبنى لنظم غربية مع العزم على تغييرها من الزمن والتجربة لتوافق مبادئنا وأخلاقنا أو طريق ابداع بدائل لهذه النظم آخذين في الأعتبار أن هذه النظم أو البدائل ليست الصراط المستقيم

وانما هى محاولة للقرب منه وأنه عندما يثبت من الممارسة أن هذه النظم أو البدائل أوقعتنا في تناقض مع مبادئنا وأخلاقياتنا نصبح أحرارا حينئذ في تبديلها وتغييرها غير متحجرين ولا متبلدين .. لا يحكمنا في الأمر كله غير قرآن ربنا وسنة نبينا صلوات الله وسلامة عليه .

والله من وراء القصد

وهو يهدى الى سواء السبيل



بيلبوجرافيا

علاقى ، مدنى عبد القادر

تنمية القوى البشرية ، سياسات ، تخطيط ، برامج
(جدة ، دار الشروق) ، ١٩٧٦ .
٢٧٠ ص ، ٢٤ سم

جامعة الدول العربية ـ المنظمة العربية للعلوم الادارية ـ مركز البحوث الادارية .

برامج تنمية المديرين في الجامعات الامريكية ، تعريب شوقى حسين عبدالله .
٣٤ ص ، ٢٣ سم (سلسلة المنظمة العربية للعلوم الادارية ١٢٢)

جامعة الدول العربية ـ المنظمة العربية للعلوم الادارية ـ مركز البحوث الادارية .

أثـر الشركات المتعـددة الجنسيـة على التنميـة والعلاقـات الدوليـة ، تقرير مجموعة كبار خبراء الأمم المتحدة . ترجمة وتلخيص محمد عبد الرحمن
(القاهرة ، مطابع سجل العرب) ، د.ت
١٦٩ ص ، ٢٤ سم (سلسلة الفكر الاداري المعاصر ٤٤)

جامعة الدول العربية ـ المنظمة العربية للعلوم الادارية ـ مركز البحوث الادارية .

عوائق تدريب وتنمية العاملين بشكل فعال . ترجمة وعرض ساطع رسلان .
١٣٥ ص ، ٢٤ سم (سلسلة الفكر الاداري المعاصر ٣٧)

جامعة الدول العربية ـ المنظمة العربية للعلوم الادارية ـ مركز البحوث الادارية .

الموازنة والتخطيط للتنمية في الدول النامية . عرض وترجمة محمد سعيد احمد .
(القاهرة ، دار الجيل) ، ١٩٧٨
٨٧ ص ، ٢٣ سم (سلسلة الفكر الاداري المعاصر ٣١)

جامعة الدول العربية ـ المنظمة العربية للعلوم الادارية ـ مركز البحوث الادارية

بعض الاتجاهات الحديثة في ادارة الافراد . اعداد على السلمى ١٩٧٠
٤٩ ص ، ٢٣ سم (سلسلة المنظمة العربية للعلوم الادارية ٨١)

جامعة الدول العربية ـ المنظمة العربية للعلوم الادارية ـ مركز البحوث الادارية

تنمية القيادات الادارية ، التأصيل العلمي ـ التجربة المصرية . اعداد حسين كامل الأسيوطي ومحمد عبد المنعم خطاب . ١٩٧١
١٤٨ ص ، ٢٣ سم (سلسلة المنظمة العربية للعلوم الادارية ٩١)

جامعة الدول العربية ـ المنظمة العربية للعلوم الادارية ـ مركز البحوث الادارية .

اللامركزية من اجل التنمية القومية والمحلية . اعداد كمال نور الله . القاهرة ، مطبعة المعرفة ، ١٩٧٢
١٤١ ص، ٢٣ سم (سلسلة المنظمة العربية للعلوم الادارية ١٢٧)

جامعة الدول العربية ـ المنظمة العربية للعلوم الادارية ـ مركز البحوث الادارية .

مؤتمر الاصلاح الاداري في الدول النامية بالمملكة المتحدة في المدة من ٢٥ اكتوبر حتى ٢ نوفمبر الذي عقدته هيئة الأمم المتحدة في جامعة ساسكى سنة ١٩٧١ . (القاهرة ، مطابع روز اليوسف) ، ١٩٧٣
٦١ ص ، ٢٣ سم (سلسلة المنظمة العربية للعلوم الادارية ١٤١)

جامعة الدول العربية ـ المنظمة العربية للعلوم الادارية ـ مركز البحوث الادارية

التنمية القومية والمشاركة في الحكم المحلى في المغرب . اعداد ابراهيم عباس عطية . (القاهرة ، مطابع سجل العرب) ، ١٩٧٠
٥٠ ص ، ٢٣ سم (سلسلة المنظمة العربية للعلوم الادارية ٤٨)

جامعة الدول العربية ـ المنظمة العربية للعلوم الادارية ـ مركز البحوث الادارية .

الميزانية الاستثمارية لخدمة تخطيط التنمية الاقتصادية في الجمهورية العربية المتحدة . تأليف عاطف السيد وسيد احمد البواب . (القاهرة ، مطابع سجل العرب) ، ١٩٧٠
٩٦ ص ، ٢٣ سم (سلسلة المنظمة العربية للعلوم الادارية ٦٩)

جامعة الدول العربية ـ المنظمة العربية للعلوم الادارية ـ مركز البحوث الادارية

المفاهيم الأساسية لتخطيط القوى العاملة . تأليف محمد عبد الفتاح منجى . القاهرة ، ١٩٧٠
٢٠ ص ، ٢٣ سم (سلسلة المنظمة العربية للعلوم الادارية ١٠)

جامعة الدول العربية ـ المنظمة العربية للعلوم الادارية ـ مركز البحوث الادارية

اهمية تحليل الطلب في الدراسات التسويقية لمشروعات التنمية ، مع التطبيق على الطلب على الأسمنت في بعض الدول العربية (مصر ـ سوريا ـ العراق) (القاهرة ـ دار الطويل) ، ١٩٧٢ .
٦٧ ص ، ٢٣ سم (سلسلة المنظمة العربية للعلوم الادارية ١٣٠)

جامعة الدول العربية ـ المنظمة العربية للعلوم الادارية ـ مركز البحوث الادارية .

تطور مفهوم تخطيط القوى العاملة في الدول المتقدمة . تأليف منصور احمد منصور (القاهرة ، دار المعلم للطباعة) ، ١٩٧٢ .
٨٢ ص ، ٢٣ سم (سلسلة المنظمة العربية للعلوم الادارية ١٣٥)



BIBLO GRAPHIA

Allen, Henry Elish
The Turkish transformation: a study in social and religion development — New York : Greenwood Press, 1968

Allen, R., et al.
Technology and social change. New York : Appleton — Century — Crofts, 1957. 529 p.

Ankara University.
Faculty of Political Science. Economic and social aspects of farm mechanization in Turkey. Ankara : 1953. 105 p.

Banfield, E. C.
The moral basis of a backward Society – Glenco : Free Press, 1958

Banton, M. P. and Dosser, D.G.M.
" The balance between social and economic development in Africa South of the Sahara, " Information (ISSC / CISS), 27, June 1961, p. 5-20.

Bascom, William R.
Continuity and change in African Cultures Chicago : University of Chicago Press, 1959

Basil, Douglas C.
The management of change — London : McGraw-Hill, 1974

Bendix, R.
" Industrialization, Ideologies and social structure, " American Sociological Review, 24 (Oct. 1959), 613 - 622

Biddle, William W.
The community development process. New Delhi : Amerind Publishing Co., 1965. 334 p.

Braibanti, Ralp.
Tradition, Values and Socio-economic development — Durham : Duke Univ. Press, 1961

Brockdmann, Carl.
History of the Islamic Peoples. London : Rontledge and Kegan-Paul, 1949.

Carlton, F. T.
" Human relations in an era of rapid technical change, " American Journal of Econimics and Sociology, 15 (Jan. 1956), 183-188.

" **Changing Arabia :** Significant factors in the impact upon Saudi Arabian life and economy of oil developments, " Petroleum Press Service Bulletin,20 (August 1953), 288.

Charnary, Jean-Paul
Islamic Culture and Socio-economic change — Leiden : E.J. Brill, 1971

Cleron, Jean Paul.
Saudi Arabia 2000. London : Croom Helm, 1978. 168 p.

Curle, A.
" Tradition, development and planning, " Sociological Review, 8 (Dec. 1960), 223 - 238.

De Gaury, G.
Faisal : King of Saudi Arabia, London : 1966

Dupree, Louis
Afghanistan in the 1970s. — New York : Praeger Publisher, 1974

Erwing, D. W.
The human side of planning. London : Macmillan, 1969. 216 p.

Frankel, S.H.
The economic impact on underdeveloped societies : essays on international investment and social change. Cambridge, Mass. :Harvard. University Press, 1953. VII, 179 p.

Friedman, G.
" The social consequences of technical Progress, " International Social Service Bulletin, 4 (1952), 243 - 260.

Ghadri, Nihad.
The great challenge. — 1968

Hagen, Everett E.
On the theory of social change : how economic growth begins. —Heme wood : The Dorsey Press, 1962

Halpern, Manfred
The politics of social change in the Middle East and North Africa. — Princeton : Princeton Univ. Press, 1963.

Hitti, P.K.
History of the Arabs. 6th ed. New York : St. Martin's, 1956.

Hobhouse, L. T.
Social development : its nature and conditions. — London : George Allen & Urwin, 1966

Hodder, B. W.
Economic development in the tropics — London : Methuenco, 1968

Hopwood, Derek, ed.
The Arabian peninsula : Society and politics. London : Allen and Urwin, 1972 - 320 p.

Hoselitz, B.F.
Sociological aspects of economic growth. Glencoc, Ill. : Free Press, 1960. 205 p.

Hoselitz, B.F.
" Some potentialities and limitations of research on social implications of technical change, " Civilizations, (6 April - June 1956), 157 - 178.

Hunter, Capt. F. M.
An account of the British settlement of Aden in Arabia. — London : Frank Cass, 1968

Jones, K.W.
" The Romance of Saudi Arabia's oilfields : changes in Arab way of life, " Great Britain and the East, 68 (February 1952), 21-23.

Kindleberger, Charles P.
Economic development. 2d New York Mc Graw — Hill, 1965. 425 p.

Knauarhase, Ramon.
The Saudi Arabian economy. New York : Praeger, 1977. 359 p.

Korten, David C.
Planned change in traditional society : Psychological problems of modernization in Ethiopia. — New York : Praeger Publisher, 1972

Kunkel, John H.
Society and economic growth : a behavioral perspective of social change. — N. Y. : O.U.P., 1970

Landau, Jacob M.
Man, state and society in the contemporary Middle East. — New York : Praeger Publisher, 1972

Leiden, Carl.
The conflict of traditionalim and modernism in the muslim Middle East. — Austin : University of Texas, 1965

Lerner, D.
The passing of traditional society : modernizing the Middle East. Glnese, Ill. : Free Press, 1958. XIII, 466 p.

Lipsky, George A.
Saudi Arabia : its people, its society, its culture, New Harven, Comm : Hraf Press, 1959. 367 p.

Mead, M., ed.
Cultural patterns and technical change. New York : the New American Library, 1955. 352 p.

Mead, M. et. al.
Society, tradition and technology. Paris : Unesco. 1953. 397 p.

Meynard, Jean, ed.
Social change and economic development. Paris : Unesco, 1963. 210 p.

Michigan State University.
Problems of change in underdeveloped areas. East Lansing : Michigan State University, 1963, 148 p.

Miller, David W.
The Middle East yesterday and today. — New York : Praeger Publisher, 1970

Morrison, James H.
The Human side of management. — Reading, Mass : Addison — Wesley Pub. Co., 1971

Nash, M.
" Some cultural and social aspects of economic development, " Economic Development and Cultural Change, 7 (Jan. 1959), 137 - 150.

Nolte, R. H.
Social change and industrialization in Egypt. New York : American Universities Field Staff, 1955. 31 p.

Ogburn, William F.
Social change with respect to culture and original nature. — Rev. ed. — New York : Viking Press, 1950

" **Oil and social change in the Middle East,** " The Economist, 167 (July 2, 1955), 46.

Owens, Edgar and Shaw, Rahert
Development reconsidered. Lexington, Mass : Lexington Borks, 1972, 190 p.

Rihani, Ameen.
Maker of modern Arabia — New York : Houghton Mifflin, 1928

Rondot, P.
" Les musulmans devant la technique, " Cahiers de l'ISEA, 106, serie V, No. 2, Oct. 1960, p. 37 - 63

Rondot, P.
" Les musulmans et l'Islam devant la technique, " Revue de la Defence nationale 16 (June 1960), 10-11-1027

Roosevelt, Kermit.
Arabs, oil and history. — New York : Harper & Bros. 1949

Rutter, Eldon.
The holy cities of Arabia. New York :Putrnam,1928, 2 vols.

El-Saaty, H.
" Some aspects of the social implications of technological change in Egypt, U.A.R., " (In : Conseil International de Sciences Sociales. Les implications sociales du development economique. Paris : Presses Universitaires de France, 1962, p. 153-166

Samuelson, Kurt,
Religion and economic action : a critique of Max Weber. — New York : Basic books, 1961

Saudi Arabia, Central Planning Organization.
Development plan 1390 A.H. Riyadh : 1390 / 1970, 277 p.

Saudi Arabia. Central Planning Organization.
The second development plan, 1975-1980. Riyadh : 1976

Sayigh, Yusif A.
The determinants of Arab economic development. — London : Croom Helm, 1978

Schiano-Campo, Salvatore and Singer, H.W.
Perspectives of economic development. Boston : Houghton Miflin, 1970. 351 p.

Schumann, Howard.
Economic Development and individual change. — Cambridge : Harvard Univ. Press, 1967

Smith, R.J.
" Comparative studies in anthropology of the interrelations between social and technical change, " Human Organization, 16 (September 1957), 30-36.

" **Social Aspects of industrialization in Africa South of the Sahara in rural areas,** " International Social Science Bulletin, 9 (1957), 397-412.

Summary of Saudi Arabian Five year Development Plan, 1975 - 1980.

Taylor, Alice
The Middle East, — Newton Abbot : David & Charles, 1972

Textor, R.B., et al.
The social implications of industrialization and urbanization. Five studies of urban population of recent rural origin in cities of Southern Asia. Calcutta : Unesco Research Centre on the Social Implications of Industrialization in Southern Asia, 1956. XIV, 268 p.

Thompson, Jack H. and Reischaver , R.D.
Modernization of the Arab World. Princeton, N.J. : Van Nostrand, 1966. 249 p.

Twitehall, K.S.
Saudi Arabia. New York : Greenwood Press, 1958, 281 p.

United Nations.
Studies on selected development problems in various countries in the Middle East. New York : 1970.

United Nations. Dept. of Economic and Social Affairs.
Planning for balanced social and economic development : six country case studies. New York : 1964. 281 p.

Walpole, Norman C.
Area handbook for Saudi Arabia. Washington D.C. : Government Printing Office, 1971.

Weintaub.
International approaches to economic development of underdeveloped areas. — MMFQ, July, 1948.

Yamani, Ahmad
Islamic law and contemporary issues. — Jeddah : Saudi Pub. Co. 1968.

المحتويات

طبع بمطابع
شركة المدينة للطباعة والنشر